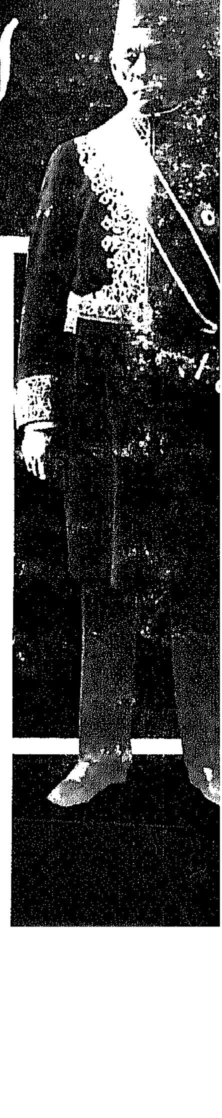
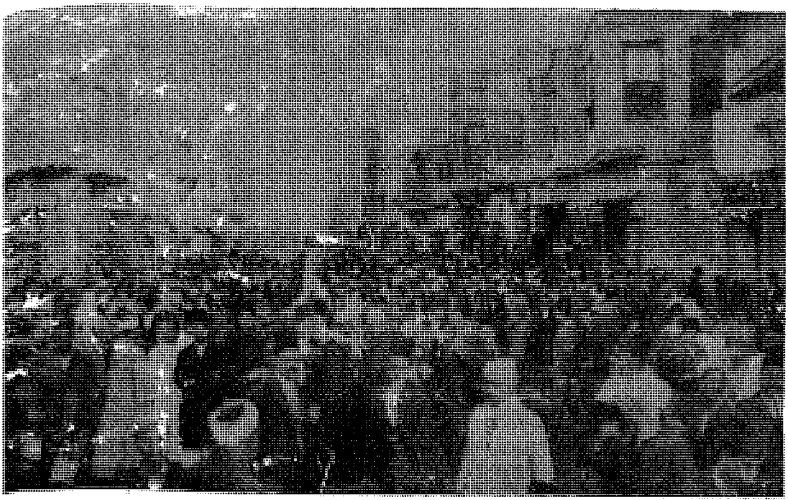
الوفد والوحدة الوطنية في ثورة ١٩١٩







دار العرب للبستاني

الوفد والوحدة الوطنية
في ثورة ١٩١٩

ايداع رقم ٩٥/٢٣٥٢ دولى رقم ٩ - ١٢ - ٩٧٧/٥٣٨٣

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون ٩٠٤٣٤٢

الدكتور
رمزى ميخائيل

الوفد والوحدة الوطنية في ثورة ١٩١٩

دار العرب
للبستانى
٢٨ شارع الفجالة - القاهرة

الناشـــر:

دار العــرب للبستــــانى

٢٣، ٢٨ شارع الفجالـة

القـــاهرة-١١٢٧١

ت: ٥٩١٥٣١٥-٩٠٨٠٢٥

مقدمـــــــــــة

فى تاريخ الأمم والشعوب، قرون وعقود يسـهل وصفهـا فـى صفحات قليلـة .. وفيهـا سنوات وشـهور، لا تتسـع لذكـر وقائعهـا وتحليلها بمجلدات كبيرة..

ومن النوع الثانى، تبرز فـى تـاريخ مصـر المعـاصر، السـنوات الست من أواخر سـنة ١٩١٨الى أواخـر سنة ١٩٢٤، التـى شـهدت ارهاصات ووقائع ومنجزات ثورة الشـعب المصـرى فـى سـنة ١٩١٩ ضد الاحتلال البريطانى، و مايعنيه ويمثله من ظلم واستغلال واضطهاد لمصر: الوطن والشعب، التاريخ والحضارة والفكر.

وقد استحوذت دراسة هذه الثورة الكبرى على اهتمامى، منذ فراغىَ من إعـداد دراستىللماجستير فـى سـنة ١٩٧٢، حتـى إتمـامى رسالة الدكتوراه فى سنة ١٩٩٠.

ففي سنة ١٩٧٢، شجعني المرحوم الأستاذ الدكتور محمد أنيس، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة القاهرة، على دراسة ظاهرة الوحدة الوطنية في ثورة ١٩١٩، وعنى بالمراجعة العلمية لنتائج بحثى ودراستى ..

ثم شاركت بخلاصة هذه الدراسة، يوم أول أبريل سنة ١٩٨٠، فى المؤتمر العلمى الأول الذى أقامته "جمعية خريجى كلية الإقتصاد والعلوم السياسية"، فى "كرمة إبن هانىء" بالجيزة، لمناقشة تطور "الفكر السياسى المصرى".

وكان للمرحوم الشاعر صلاح عبد الصبور، بصفته رئيسا للهيئة المصرية العامة للكتاب، الفضل فى نشر الدراسة سنة ١٩٨٠. وحققت نجاحا ملحوظا فى جذب اهتمام القارىء، حتى نفدت النسخ المطبوعة منها منذ فترة طويلة.

ومن واقع معايشتى لحوادث ثورة ١٩١٩، والظواهر المصاحبة لها، والعبر والدروس المفادة منها، التى تنطق بها مصادر

ومراجع الثورة.. برزت أمامى ملامح الدور المهم الذى اضطلع به "الوفد المصرى"بصفته "التجمع الوطنى" الممثل للشعب المصرى، كما اتضحت المهام الكثيرة التى أدتها الصحافة المصرية، فى التمهيد للثورة ومصاحبة حوادثها والمساهمة فى تحقيق أهدافها.

وكان لصحيفة "الوفد" الفضل فى توسيع دائرة الإلمام بنتائج هذه البحوث، عندما نشرتها فى أيام ٧ و٨ و٩ من مارس ١٩٩٤، فى الإحتفال بمرور ٧٥ عاما على ثورة ١٩١٩.

واستشعاراً لضرورة وأهمية هذه البحوث علميا ووطنيا، فقد أقدم الأستاذ صلاح الدين البستانى، صاحب "دار العرب"، على نشرها فى هذا الكتاب، مصحوبة ببيان لمصادرها ومراجعها مع مجموعة نادرة لأهم صورها، حتى تكتمل الفائدة المرجوة منها، وذلك رغم الظروف الصعبة المترتبة على هدم المركز الرئيسى "لدار العرب" بعد زلزال القاهرة سنة ١٩٩٢.

ولعلنا وفقنا فيما قصدنا إليه.

ديسمبر ١٩٩٤

المؤلف

الفصل الأول

الوفد والصحافة في ثورة ١٩١٩

(١)

كفاح الصحافة والوفد.. حتى نفى الزعماء

زخرت ثورتنا الكبرى فى سنة ١٩١٩، بفيض من ملاحم الكفاح ضد الإحتلال، وسيل من قصص التضحية فى سبيل حرية الوطن واستقلاله. وبعد أن فجرت الثورة كافة الطاقات السياسية والإقتصادية والصحفية والفنية لدى أجدادنا وآبائنا، تركت لنا العديد من الدروس الوطنية، التى نفيد منها ونعيش على هداها.

وكان الدور الذى لعبه الوفد والصحافة المصرية فى قيادة الثوار وتوجيههم، وحمايتهم من هجمات أعدائهم، دورا تاريخيا لا ينسى.

فقد شهد المجتمع السياسى المصرى، فى فترة الإختمار الثورى، التى سبقت إندلاع ثورة ١٩١٩، تعاونا وطيدا بلغ درجة التوحد، بين رجال السياسة الوطنيين، وفى مقدمتهم سعد زغلول،

الوكيل المنتخب"للجمعية التشريعية"، وبين أصحاب الأقـ
الوطنية، يتقدمهم أحمد لطفى السيد، أمين الرافعى ومحمود عزمى، •
اختلاف إنتماءاتهم السياسية.

تقييد الحريات

وكان الهدف أمامهم جميعا، هو تخليص مصر من الإحتلا
البريطانى، الذى جثم على صدرها منذ سنة ١٨٨٢، وأفقده
إستقلالها. ثم فرض عليها -بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى فى يو
١٩١٤- أقسى أنواع القيود على كافة الحريات والحقوق العام
والشخصية. مما أضر ضرراً بالغا بحرية الصحافة والإجتماع. وكلـف
رجال السياسة والصحافة الوطنيين كثيرا من التضحيات، التى تمثلت
فى اعتقال ونفى كثير منهم، وتعطيل كثير من الصحف، وإلغا
الصحف الحزبية الكبرى، وهى: "الشعب" المعبرة عن مبادىء وأفكار
"الحزب الوطنى"، والتى كان يترأس تحريرها أمين الرافعى. و"الجريدة"
الناطقة بلسان "حزب الأمة"، والتى كان يترأسها أحمد لطفى السيد.
و"المؤيد" الناطقة باسم "حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية"،
برئاسة الشيخ على يوسف.

وأخذت أيام الحرب تمضى كئيبة متثاقلة، تحمل معها كافة صنوف القهر، فى ظل الأحكام العرفية والرقابة العسكرية البريطانية على الصحافة، المفروضة منذ اليوم الثانى من نوفمبر ١٩١٤. وتحت وطأة الحماية البريطانية على مصر، التى أعلنت فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤.

ثم اتجهت الحرب إلى نهايتها، بعد أن رجحت كفة بريطانيا وحلفائها، فى مواجهة ألمانيا وحلفائها. وفى آخر أكتوبر ١٩١٨، عقدت تركيا الهدنة مع بريطانيا وحلفائها. فأظهرت أكثر الصحف المصرية الفرح بانتصار بريطانيا واستسلام تركيا. و لم يكن فى استطاعة أية صحيفة أن تظهر تعاطفا مع دولة عدوة لبريطانيا، التى أمسكت بيدها كافة خيوط الحكم فى مصر.

فكرة الوفد

ومع شيوع أنباء انتصارات الحلفاء، أكثرت الصحف المصرية، وفى مقدمتها "السفور"، من الحديث عن مبادىء الرئيس الأمريكى "ودرو ولسن"، فى إقرار حقوق الحرية والإستقلال وتقرير

المصير، وضرورة تطبيقها لمصلحة كافة الدول والشعوب(١).

وفى ظل مبادىء "ولسن"، تأهبت الشعوب الصغيرة لإرسال وفودها إلى"مؤتمر الصلح" فى باريس، للمطالبة بتحقيق آمالها القومية.وتبلورت آراء قادة الفكر والسياسة المصريين، فى اختيار وفد يعبر عن مطالب مصر وأمانيها(٢).

وكان أكثر رجال الحزب الوطنى، يتقدمهم محمد فريد رئيس الحزب، مشتتين فى أوروبا. والصلات بينهم وبين زملائهم فى مصر منقطعة، ونشاط الحزب فى مصر شبه متوقف.ولم تبق من صحفه على قيد الحياة غير صحيفة واحدة، هى "الأفكار" التى كان يترأس تحريرها سيد على. وكانت تعانى كثيرا من الصعوبات الإقتصادية والرقابة الصحفية.

زعامة سعد

وفى هذا المناخ السياسى، برزت فى الميدان الشخصيات المعروفة باعتدالها. واستقرت زعامة الحركة الوطنية فى مصر لسعد زغلول، وكيل " الجمعية التشريعية" المنتخب، وزملائه البارزين فيها،



سعد زغلول زعيم الثورة

الذين اقتنعوا بمنهج التدرج فى تحقيق الأهداف والأمانى الوطنية.

وأخذ سعد زغلول يعمل لتأليف جماعة أو هيئة، للمطالبة بحقوق مصر فى الحرية والإستقلال والحكم النيابى. وكانت وكالته "للجمعية التشريعية"، وزعامته للمعارضة فيها، وقوة شخصيته وبلاغة خطابته، وبروزُه فى الهيئة الإجتماعية، هى مؤهلاته لتقلد رئاستها(٣).

وتعددت الإجتماعات بين سعد زغلول وزملائه، فى حيطة وحذر، مراعاة للأحكام العرفية ومنع الإجتماعات. ومع ذلك، ترددت الأحاديث حولها فى المجالس الخاصة وبين الصحفيين. ولكن الرقابة منعت النشر عنها فى الصحف. ولما علم سامى قصيرى، المحرر فى "المقطم"، أن دار المندوب السامى البريطانى بالقاهرة، تتابع باهتمام نشاط سعد وزملائه، بادر المحرر بإبلاغ على ماهر بهذه المتابعة، فأسرع سعد زغلول وزملاؤه خطواتهم(٤).

مقابلة ١٣ نوفمبر

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨، أعلنت الهدنة العامة. ونشرت

الصحف برقيات التهنئة والوعود والأمـاني الطيبـة المتبادلـة بـين ملـك بريطانيا والسلطان المصرى، فازداد المصريون تطلعا للإستقلال.

وبعد يومين، قابل سـعد زغلـول وعبـد العزيـز فهمـى وعلـى شعراوى، "السير ريجنلد ونجت" المندوب السـامى البريطـانى. وبـدأت المواجهة المباشرة بين الزعماء المصريين، وممثل دولة الإحتلال.

فقد طلب سعد زغلول وزميـلاه مـن "السـير ونجـت"، إلغـاء الأحكام العرفية والرقابة علـى الصحـف وسـائر المطبوعـات، وتحقيـق الإستقلال لمصر. وأكدوا له أنه عنـد حصـول مصـر علـى اسـتقلالها، فإنها تعطى بريطانيا الضمانـة المعقولـة لعـدم مسـاس أى دولـة بـه، أو بمصلحة بريطانيا، أو بحقوق أصحاب الديون مـن الأجـانب. وتحـدث المندوب السامى عن الفوائد التى جنتها وستجنيها مصر من بريطانيـا، وميله إلى إلغاء الرقابة الصحفية، والتفـات بريطانيـا إلى مطـالب مصـر بعد الفراغ من مؤتمر الصلح، وافتقار المصريين عامة إلى رأى عام بعيـد النظر، و"الحزب الوطنـى"خاصـة، إلى التعقـل والرويـة. وعـدم كفـاءة مصر للإستقلال، واحتمال تعرضها لاعتداء أى دولة قوية عليها.

طلب إلغاء القيود

وهكذا كان إلعاء الأحكام العرفية والرقابة الصحفية، فى مقدمة طلبات سعد زغلول من ممثل دولة الإحتلال البريطانى. وبرره بقوله إن "الناس ينتظرون بفروغ صبر زوال هذه المراقبة، كى ينفسوا عن أنفسهم، ويخففوا عن صدورهم الضيق الذى تولاهم أكثر من أربع سنين". فقد كان سعد زغلول من أكثر هؤلاء الناس تضررا من قيود الأحكام العرفية والرقابة الصحفية، لأنها عرقلت العمل الوطنى السياسى والصحفى طوال فترة الحرب، وحرمت سعد زغلول من الإتصال بالجماهير بواسطة الصحافة والخطابة.

هذا، بجانب أن القيود التى فرضتها سلطات الإحتلال على الحريات، كانت عنوانا واضحا على التناقض بين الوعود البريطانية، بتهيئة الشعب المصرى للإشتراك فى الحكم تدريجيا، وبين الواقع الذى يعيشه هذا الشعب، محروما من فرص العمل الجماهيرى ووسائل الإتصال الحرة. ولهذا أبدى المندوب السامى البريطانى، ميله إلى إلغاء الأحكام العرفية والرقابة الصحفية. وقال إنه تحدث عنها مع القائد العام للجيوش البريطانية، ولكنه طلب معرفة رأى حكومته فيها(٥).

تأليف الوفد

وعقب مقابلة الزعماء للمندوب السامى، يتجهون لمقابلة حسين رشدى، رئيس الوزراء - وزير الداخلية، الذى يؤيد مسعاهم، ويبدأ تنفيذ ما سبق إتفاقهم عليه، وهو سفر وفدين أحدهما رسمى يترأسه حسين رشدى، والآخر شعبى برئاسة سعد زغلول، يساند كل منهما سعى الآخر(٦). ويوافق السلطان على سفر رئيس الوزراء، وعدلى يكن وزير المعارف العمومية، إلى لندن، لبحث مستقبل مصر السياسى مع الحكومة البريطانية.

وفى نفس اليوم، يبدى المندوب السامى البريطانى لرئيس الوزراء المصرى، دهشته من أن سعدا وزميليه يتحدثون عن أمر أمة بأسرها، دون أن يكون لهم صفة التحدث بإسمها. فيؤكد رئيس الوزراء تمتعهم بهذه الصفة، لأن سعد زغلول هو الوكيل المنتخب "للجمعية التشريعية"، الهيئة التى تمثل الأمة المصرية من الناحية النظامية، وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى، عضوان فيها.

ويتفق سعد زغلول مع زملائه على تأليف هيئة تسمى "الوفد



أحمد لطفي السيد

من أبرز رجال الفكر والسياسة والمحاماة والصحافة. شارك في تأليف الوفد وساهم في كافة أنشطته.

المصرى"، للمطالبة باستقلال مصر. على أن نحصل على توكيلات من الأمة تخولها صفة التحدث بإسمها، للرد على الزعم البريطانى بافتقارهم إلى هذه الصفة.

ويتألف "الوفد المصرى" فعلا فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨، برئاسة سعد زغلول، وعضوية: على شعراوى، عبد العزيز فهمى، عبد اللطيف المكباتى، محمد على علوبة، من أعضاء "الجمعية التشريعية". ومحمد محمود، و أحمد لطفى السيد الذى يمثل رجال الصحافة والفكر، بين رجال السياسة والقانون والإدارة. وينتمى الجميع إلى الإتجاه "الليبرالى"، ويمثل أكثرهم طبقة كبار الملاك(٧).

منع أخبار ١٣ نوفمبر

وهكذا كان يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨، يوما "للجهاد الوطنى"، حافلا بالأعمال السياسية الهامة.

ولكن الصحف المصرية، التى كانت ترزح تحت الأحكام العرفية والرقابة العسكرية المشددة، لم تستطع أن تنشر شيئا عن مقابلة الزعماء الثلاثة لممثل دولة الإحتلال، وتأليف الوفد المصرى.

وكانت صفحات أكثر الصحف فى يوم المقابلة، وفى مقدمتها "المقطم" المتعاونة مع سلطات الإحتلال البريطانى، زاخرة بأنباء إنتصار بريطانيا وحلفائها فى الحرب، وإعلان الهدنة، ووصف ابتهاج المصريين بها. بينما ظهرت مساحات كثيرة من صفحات الصحف بيضاء، لأن الرقابة لم توافق على موادها، كما حدث فى الصفحة الأولى من "المنبر" التى حذف نحو ثلثها.

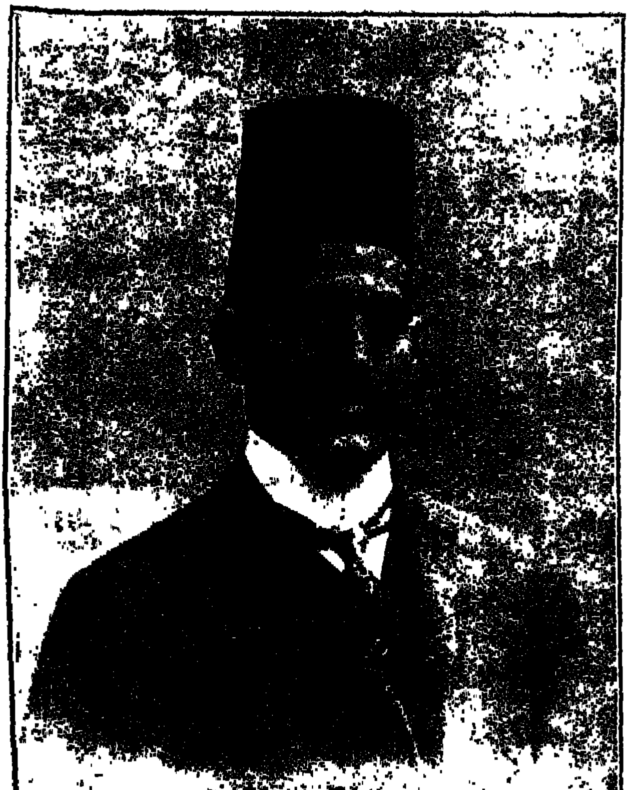
وفى اليوم التالى، نشرت "المقطم" خبر مقابلة القادة الثلاثة لرئيس الوزراء، باقتضاب ودون ذكر صفتهم فى الوفد، بين الأخبار المعتادة لمقابلات الرئيس اليومية، فى باب "أخبار محلية" على الصفحة الثانية. وقالت كلماته : "وقد قابل حضرته أيضا حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية، وحضرة صاحب السعادة على باشا شعراوى، وحضرة صاحب العزة عبد العزيز بك فهمى، العضوين فى هذه الجمعية معا، ولبثوا عنده مدة". ثم تنشر بقية الصحف الخبر فى الأيام التالية -ومنها "المنبر" و"وادى النيل" فى ١٥ نوفمبر ١٩١٨- دون ذكر "الوفد"، لأن الرقابة حرمت على الصحف ذكر إسمه والإنتساب إليه.

ويفتقر الناس إلى أنباء الوفد، على صفحات الصحف، فيتناقلون الأحاديث عن تأليفه ونشاطه همساً فى العاصمة والإسكندرية. ويقول محمود أبو الفتح، المحرر فى صحيفة "وادى النيل" بالإسكندرية، إن أكثر الناس كانوا يميلون إلى عدم تصديقها، لأن "الضغط الشديد الذى عانته الأمة أثناء الحرب، جعل الكثيرين يظنون فى البلاد الإستكانة.. ثم أخذت أسماء القائمين بالحركة تظهر شيئا فشيئا، وأخذت أعمالهم تخرج من الخفاء إلى الجهر"(٨).

ويتجه الوفد إلى ممارسة النشاط السياسى الجماهيرى، ولكن السلطات المختصة تمنع إجتماعاته، وتحرم الصحف من الكتابة عنها. فيكتب أمين الرافعى، يوم ٢٠ نوفمبر ١٩١٨، مذكرة سياسية باللغتين العربية والفرنسية، يشرح فيها أبعاد القضية المصرية وحق مصر فى الإستقلال، وينشرها بين أفراد الشعب المصرى. كما يقدمها إلى ممثلى الدول الأجنبية فى مصر، لإبلاغها إلى رؤساء الحكومات المشتركة فى "مؤتمر الصلح"(٩). ولكن الرقابة تمنع نشرها فى الصحف.

قانون الوفد

ويصدق أعضاء الوفد على قانونه، يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٨،



مصطفى النحاس

من أبرز رجال القضاء. ساهم فى تأليف الوفد المصرى، وخلف سعد زغلول فى رئاسته. وقام بتشكيل الوزارة عدة مرات.

بعد أن ضم إليه أعضاء آخرين، لتمثيل "الحزب الوطنى" وكافة فئات الأمة المصرية.

وينص قانون الوفد على أن إسمه هو "الوفد المصرى"، ومهمته هى " السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلا فى استقلال مصر إستقلالا تاما"، وأنه "يستمد قوته من رغبة أهالى مصر التى يعبرون عنها رأسا أو بواسطة مندوبيهم بالهيئات النيابية"، و"أن للوفد أن يضم إليه أعضاءً آخرين مراعيا فى انتخابهم الفائدة التى تنجم عن إشتراكهم معه فى العمل". وتنص المادة الأخيرة على أن "يعين الوفد لجنة تسمى باللجنة المركزية للوفد المصرى، يختار أعضاءها من ذوى المكانة والغيرة. ومهمتها جمع التبرعات على ذمة الوفد.. ومراسلة الوفد بما يهم من الشئون الخاصة بمهمته". وكان لهذه اللجنة دور إعلامى هام، وأقامت علاقات قوية بالصحافة ورجالها.

توكيلات الوفد:

الرقابة تمنعها، والصحفيون يوزعونها

ويضع الوفد صيغة توكيل، يوقعه أكبر عدد من أفراد الأمة.وتلاقى حركة التوكيلات حماسة شعبية كبيرة، وتساهم فى رفع

مستوى الوعى السياسى لـدى الجماهير. وتخشـى السـلطة العسـكرية البريطانيـة، أن تتطـور إلى حركـة عامـة للمطالبـة بالإسـتقلال التـام، فتصدر أوامرها إلى المديرين بمنعها ومصادرتها. وتحمـل أعضـاء الوفـد مسئولية مـا ينتـج عنهـا. وتستمر حركـة التوكيـلات بنجـاح، رغـم حظرها رسميا، بل إن تشدد الحكومة ومأموريها فى مصادرتهـا، كـان داعيا لإقبال الناس عليها فى الخفاء، وإرسالها سراً إلى الوفد(١٠) .

ويروى محمود أبو الفتح، أن الخطابات والمذكـرات السياسـية التى تبادلهـا سـعد زغلـول، مـع رئيـس الـوزراء، بشـأن تـأليف الوفـد وحركة التوكيلات، وكذلـك أوراق توكيـل الشـعب للوفـد، كـانت ترسل سرا إلى الإسكندرية، فيقوم هو وزملاؤه الوطنيون، بطبع نسـخ عديدة منها، يوزعونها فـى المقـاهى والمنتديـات(١١). ورغـم اتسـاع حركة التوكيلات بهذا الشكل، فإن الصحف المصريـة لم تتمكـن مـن متابعتها، بسبب الحظر الذى فرضته الرقابة على نشرها.

صحيفة الوفد الرسمية

وفى هذا المناخ السياسـى، الـذى كـانت أهـم ملامحـه تحريـم الإجتماعات وتقييد الصحافة، ومنع النشر عن الوفـد ونشـاطه، يتجـه

سعد زغلول إلى تلافى حظر النشر عن الوفد فى الصحف القائمة. ويفكر فى أن تصدر "هيئة الوفد" صحيفةً رسميةً لها، على غرار صحف الأحزاب الكبرى، تنشرمبادئها وأفكارها، وتصلها بجماهيرها، على أن يترأس تحريرها أمين الرافعى، الذى كان يتبادل الثقة مع سعد زغلول، وتزعم جناح "الحزب الوطنى" المؤيد للوفد.

ولكن أمين الرافعى تردد فى قبول رئاسة صحيفة الوفد الرسمية، خَشْيةَ أن يفقد حريته فى التعبير عن آرائه وأفكاره الذاتية(١٢). ثم حالت التطورات والأحداث السياسية السريعة والمتلاحقة، دون إصدار صحيفة رسمية للوفد، فاكتفى بتأييد كثيرمن صحف الأفراد له، باعتباره التجمع الوطنى المعبر عن مطالب وآراء كافة فئات الشعب.

رفض مطالب الوفد والوزراء

ويتخذ التعارض بين المطالب المصرية والسياسة البريطانية، شكلا مباشرا واضحا، عندما يطلب سعد زغلول من قيادة الجيش البريطانى والمندوب السامى، فى يومى ٢٠ و ٢٩ نوفمبر ١٩١٨،

السماح له ولأعضاء الوفد، بالسفر إلى لندن، للتباحث مع المسئولين في مستقبل مصر. ولكن السلطات البريطانية تبلغ سعداً في أول ديسمبر رفضها الترخيص للوفد بالسفر، وتدعوه إلى تقديم مقترحاته عن نظام الحكم في مصر إلى المندوب السامي البريطاني، على ألا تخرج عن دائرة الحماية(١٣). ويحتج سعد بكافة الوسائل ولدى كل الجهات المعنية، على السياسة البريطانية(١٤).

وترد الحكومة البريطانية على طلب حسين رشدى وعدلى يكن، فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨، السفر إلى لندن، بتأجيله إلى ما بعد مؤتمر الصلح. فيقدم الإثنان إستقالتيهما يوم ٢ ديسمبر ١٩١٨ إلى السلطان، الذى يتريث فى قبولهما. وتصدر الرقابة أوامرها إلى الصحف المصرية، بعدم نشر أسباب الإستقالتين.

وفى مواجهة تعنت الحكومة البريطانية، يتخذ الوفد فى ٥ ديسمبر ١٩١٨، عدة قرارات تمثل تحولا واضحا فى خطته وبرنامجه السياسى، هى: العدول عن السفر إلى لندن، وعدم الإقتصار على مفاوضة بريطانيا وحدها، والسعى لسفر الوفد إلى مؤتمر الصلح

بباريس، ونقل القضية المصرية إلى الميدان الدولى، والإتصال المباشر بممثلى الدول. والإتصال بالرئيس "ولسن"، و"المسيو كليمنصو" رئيس مؤتمر الصلح، بكافة الوسائل. وعدم تنفيذ أى أمر من السلطات البريطانية، إذا كان يمس قضية البلاد، وهى: إلغاء الحماية وإنهاء الإحتلال وتحقيق الإستقلال، أو كان فيه أقل تعطيل لنشاط الوفد وكفاحه، أو المساس بكرامته وحريته(١٥).

تصاعد كفاح الوفد

وينفذ الوفد فورا، وبحماسة وطنية بالغة، برنامجه السياسى الجديد. فيبعث بعرض منطقى واضح لتطور القضية المصرية، وتأليف الوفد ومطالبه، إلى معتمدى الدول بمصر، والرئيس الأمريكى "ولسن". ولكن الرقابة البريطانية تعرقل إرسال برقيات الوفد إلى الخارج، كما تمنع الصحف المصرية من نشرها هى وأية مادة عن مساعى سعد زغلول وأنشطة الوفد.

- ويتمكن الوفد، رغم كافة القيود، من عقد اجتماع كبير، يوم ١٣ يناير ١٩١٩، فى بيت عضوه حمد "باشا" الباسل بالقاهرة.

ويلقى سعد زغلول خطابا سياسيا بالغ القوة، يتناول فيه كافة جوانب المسألة المصرية. وتبادر أمانة الوفد بطبع الخطاب وتوزيعه فى العاصمة والأقاليم، لعلمها أن الرقابة تحظر على الصحف نشر أية مادة عن الوفد: إسمه أو نشاطه أو أهدافه. وهو ماحدث بالفعل، فكل ما استطاعت "الأهرام" نشره عن هذا الإجتماع، فى ١٤ يناير ١٩١٩، يصوره وكأنه حفل لتناول "الحلوى وأطايب المآكل، مع الشاى والقهوة"(١٦).

وتستشعر الحكومة البريطانية خطورة الحركة الوطنية التى يقودها الوفد، على المصالح البريطانية. فتستدعى مندوبها السامى بالقاهرة "ريجنلدونجت"، لتقف منه على الحالة تفصيلا. فيغادر بورسعيد يوم ٢١ يناير ١٩١٩ إلى لندن، وينوب عنه بالقاهرة "السير ميلن شيتام".

ويمضى الوفد فى كفاحه. فيدعو سعد زغلول، ستمائة شخص لحضور احتماع يعقد يوم ٣١ يناير ١٩١٩، فى خيام تنصب بجوار "بيت الأمة". ولكن السلطة العسكرية البريطانية تمنع الإجتماع.

فيدين رئيس الوفد هذا المنع، ويخطر المدعوين بـه، ويحتـج عليـه برقيـا لدى رئيس الحكومتين البريطانية والأمريكية. ثم يبرق إلى رئيس مؤتمـر الصلح، يطالبـه بضـرورة عـرض قضيـة مصـر علـى المؤتمـر(١٧). و لم تستطع الصحف المصرية نشر حقيقة مـاحدث. وصـدر أكثرهـا، بعـد حذف الكثير من موادها (١٨).

وتكثف هيئة الوفد جهودها، لدعم تنظيمها وتوسيع قواعدها بين الجماهير. فتنظم عملية جمع التبرعـات الماليـة مـن أفـراد الشـعب. وتسعى للحصول على المعلومات والوثائق التى تستند إليها فـى إعـداد المذكرات والبلاغات والخطب. ولهـذا تؤلـف هيئـة سـكرتيرية، يعمـل فيها الكثير من ذوى الخبرة فى الترجمة والإتصـال الجماهـيرى. ومنهـم محمود أبو الفتح، المحرر فـى "وادى النيـل"، الـذى تكفـل بترجمـة مـا تنشـره الصحـف الأجنبيـة وخاصـة الإنجليزيـة، عـن القضيـة المصريـة والوفد. وإعداد ردود وتعليقات الوفد عليها(١٩).

إشتداد الأزمة واستقالة الوزارة

وتتصاعد الأزمـة السياسية فـى مصـر، بقبـول السـلطان فـؤاد إستقالة الوزارة فى أول مارس ١٩١٩ فقد وافقت الحكومة البريطانيـة

على سفر حسين رشدى وعدلى يكن إلى لندن، وحدهما، فى فبراير أو مارس ١٩١٩. ولكنهما إشترطا لسحب إستقالتيهما، وسفرهما إلى لندن، السماح بالسفر لكل المصريين. فرفضت الحكومة البريطانية هذا الشرط، وقبل السلطان استقالة الوزارة. فاستاء الرأى العام المصرى من تحول موقف السلطان، من مساندة الحركة الوطنية إلى الخضوع للسياسة البريطانية.

وكتب الوفد إلى السلطان، فى ٢ مارس ١٩١٩، معاتبا على قبول إستقالة الوزارة الوطنية المؤيدة للوفد. كما كتب يوم ٤ مارس، إلى ممثلى الدول الأجنبية بمصر، محتجا على السياسة البريطانية، التى تحرم الشعب المصرى من رفع صوته فى مؤتمر الصلح، وتسعى لتأليف وزارة تعارض أهدافه القومية. وأذاعت أمانة الوفد كتاباته واحتجاجاته، فى نشرات خاصة، أثارت حماسة الناس(٢٠).

وتنشر كافة الصحف نبأ إستقالة الوزارة، ومنها صحف: "الأخبار"، "مصر"، "وادى النيل" و"الأمة". ولكنها لا تستطيع أن تعبر عن استياء الأمة من قبول السلطان إستقالة الوزارة الوطنية، فتعمد إلى إبراز أعمالها الوطنية، وإبداء الأسف على تركها الحكم(٢١).

إعتقال ونفي قادة الوفد

ويرى المسئولون البريطانيون في احتجاجات الوفد المتوالية، تحديا لهم وتشهيرا بتصرفاتهم، وتحريضا للشعب على مقاومة السلطات، وتعطيلا لتأليف وزارة تساير السياسة البريطانية.

ويظنون أن سياسة التهديد والعنف، كفيلة بالقضاء على هذه الحركة في مهدها. فيستدعى "الجنرال وطسن"، نائب قائد القوات البريطانية في مصر، يوم ٦ مارس ١٩١٩، رئيس وأعضاء الوفد، وينذرهم بالمعاملة الشديدة، إذا قاموا بأى عمل يعرقل سير الإدارة. وتحظر إدارة المطبوعات كافة الصحف، بنبأ استدعاء قادة الوفد وإنذارهم، لتنشره بصيغة واحدة. ولا تسمح بذكر صفتهم في الوفد، ولا بوصف المقابلة.

فيبادر رئيس الوفد، بإرسال برقية إلى "لويد جورج"، رئيس الوزارة البريطانية، يحتج فيها على تصرف السلطة البريطانية، ويؤكد طلب الإستقلال، وبطلان الحماية، ويطلب حل الأزمة بالسماح للوفد بالسفر، لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح(٢٢). فتتأكد السلطة البريطانية من إصرار الوفد على موقفه.

وبينما الناس يطالعون، مساء السبت ٨ مارس ١٩١٩، خبر إستدعاء الوفد وإنذاره، فى "المقطم"، "الوطن" و"مصر"، إذ برجال الجيش البريطانى يلقون القبض على رئيس الوفد سعد زغلول، وثلاثة من أقطابه هم: محمد محمود، إسماعيل صدقى وحمد الباسل. ويعتقلونهم فى ثكنة قصر النيل طوال الليل.

وفى صباح اليوم التالى، الأحد ٩ مارس، ينقل قادة الوفد الأربعة إلى بورسعيد بالقطار، ومنها بالباخرة إلى جزيرة مالطة، حيث المنفى والمعتقل.

وفى هذه الأثناء يجتمع أعضاء الوفد، برئاسة على شعراوى وكيله، ويعترضون يوم ٩ مارس لدى السلطان، ورئيس الوزارة البريطانية، ومعتمدى الدول الأجنبية بمصر، على اعتقال أقطاب الوفد. ويعلنون إصرارهم على الإستمرار فى المطالبة بحقوق مصر بكل الطرق المشروعة(٢٣). وترى بريطانيا فى هذه الشجاعة وهذا الإصرار "الميلاد الجديد للأمة المصرية"(٢٤).

إنتشار خبر النفى

وتحظر القيادة العسكرية البريطانية على الصحف المصرية فى البداية، نشر نبأ الإعتقال، فيسرى النبأ بطيئا مشوشا، ليعلم به أعضاء الوفد وأصدقاؤه وموظفوه فى نفس يوم حدوثه، بحكم قربهم واتصالهم المباشر بالقادة المعتقلين وأسرهم. ويعرفه طلبة المدارس العليا فى اليوم التالى، لأنهم يجتمعون فى أماكن متقاربة، وينتمى بعضهم إلى أعضاء الوفد ومؤيديه بصلة القرابة أو المعرفة.ويتحدث به الناس فى مختلف أنحاء العاصمة شيئا فشيئا. وينتقل منها إلى الأقاليم متثاقلا(٢٥)، فلا يسرى إليها كلها إلا بعد سماح الرقابة بنشره، إبتداء من يوم ١٠ مارس ١٩١٩، بعد تأكدها من عدم فائدة الحظر.

وكانت معلومات الخبر فى "الوطن"، "المحروسة"، "مصر" و"الأهرام" لا تزيد عما جاء فى "المقطم"، يوم ١٠ مارس، الذى قال: "قبضت السلطة العسكرية أول أمس الساعة السادسة مساء، على حضرات صاحبىْ المعالى سعد زغلول باشا وإسماعيل صدقى باشا، وحضرات صاحبىْ السعادة محمد محمود باشا وحَمَد الباسل باشا، وأرسلوا إلى مالطة".

و لم يصبر الشعب المصرى حتى يقرأ خبر نفى زعمائه فى الصحف المراقَبَة، فقام بثورته الكبرى على الإحتلال، فى صباح اليوم التالى لاعتقال زعمائه.



مظاهرة وطنيـة يعتلى أفرادهـا سـطح عربـة تـرام ويشـغلون مقاعدهـا، ويرفعـون أغصـان الأشـجار علامـة الرغبـة فـى السـلام.

(٢)

إندلاع الثورة.. ونضال الوفد فى الخارج

كان القبض على أقطاب الوفد الأربعة: سعد زغلول، إسماعيل صدقى، محمد محمود وحمد الباسل، ونفيهم إلى مالطة، هو الشرارة التى فجرت طاقات الشعب المكبوتة ومشاعره المحبوسة. وهكذا أدت السياسة البريطانية وإجراءاتها الغاشمة، القائمة على حرمان مصر من تحقيق أمانيها المشروعة، وعرقلة حركتها الوطنية وتقييد صحافتها، عكس النتيجة المرجوة منها.

إندلاع الثورة

ففى صباح الأحد ٩ مارس ١٩١٩، بينما تقوم أمانة الوفد بإبلاغ احتجاجه على اعتقال أقطابه، وإصراره على المطالبة بالإستقلال، إلى السلطات المصرية والبريطانية وكافة دول العالم. وقبل أن تنشر الصحف المصرية نبأ إعتقال القادة الأربعة، إندلعت الثورة على الإحتلال والحماية والظلم، والمصير الذى آل إليه القادة المعبرون

عن مطالب الشعب وأمانيه.

الطلبة يتزعمون الثوار

فامتنع طلبة مدرسة الحقوق بالجيزة عن تلقى دروسهم، بعد علمهم باعتقال القادة، بوسائل الإتصال الشخصى. وأعلنوا إضرابهم أمام المسئولين البريطانيين، وأكدوا: "لا ندرس القانون فى بلد يداس فيه القانون". وتوجهوا فى مظاهرة سلمية إلى مدرستى المهندسخانة والزراعة بالجيزة، ثم إلى مدرسة الطب بشارع قصر العينى، ومدرسة التجارة العليا بشارع المبتديان. واتجهوا جميعا هاتفين لمصر وسعد زغلول، إلى ميدان السيدة زينب، حيث أدركهم رجال البوليس، واحتجز بعضهم. وانضم طلبة كثير من المدارس إلى زملائهم، واختلط الجمهور بالطلبة، واحتكت المظاهرة بالبوليس، فاعتقل نحو ٣٠٠ طالب بالقلعة.

وفى اليوم الثانى، اتسع نطاق الثورة، بأن أعلن جميع طلبة المدارس والأزهر الإضراب العام. وألفوا مظاهرة كبرى، وانضم إليهم أفراد من سائر فئات الشعب. واخترق الجميع شوارع وميادين القاهرة، ومروا بدور المعتمدين السياسيين، هاتفين بحياة مصر والحرية

والوفد، ومنـادين بسـقوط الإحتـلال والحمايـة. فـأطلقت جماعـة مـن الجنود البريطانيين النار على المتظاهرين، وسقط أول شهيدين. وأتلـف بعض المتظاهرين كثيرا من قطارات الترام وعطلوهـا. وأضـرب عمـال شركة ترام القاهرة عن العمل، فتوقفت جميع قطاراتها. وتوقف قطـار "هليوبوليس" الكهربائى فى سيره عند محطة كوبرى الليمـون. وحطـم المتظـاهرون بعـض المحـلات التجاريـة المملوكـة للأجـانب، ومصـابيح وأشجار بعض الشوارع. وبادر الطلبـة بإذاعـة منشـور فـى الصحـف العربية والأجنبية، أعلنوا فيه أسفهم على حوادث الإعتداء، ودعـوا إلى الإقلاع عنها(٢٦).

أخبار الثورة

وكـانت صحيفـة "الوطـن" المعاونـة مـع سـلطات الإحتـلال البريطانى، أسبق الصحف المصرية إلى نشر أنباء اندلاع الثـورة، مسـاء الإثنين ١٠ مارس، تلتها بقية الصحف فى يوم ١١ مارس ١٩١٩.

وقد أدانت صحف الإحتلال، تتقدمها "الوطـن" و"المقطـم"، المظاهرات التى تصدَّرها الطلبة، وجردتها من باعثها الوطنى، وحثـت الطلبة على الإبتعاد عن الثورة.

أما الصحف الوطنية -ومنها: "مصر"، "الأهرام"،"المحروسة"، "الأفكار"، "المنبر"، "وادى النيل" و"الأهالى" - ففرقت بين التظاهر السلمى وأعمال العنف، ونصحت الجميع بالهدوء.

ولما صدر بلاغ "السلطة العسكرية البريطانية"، يوم ١١ مارس ١٩١٩، محاولا إستمالة الطلبة بتبرئتهم من أعمال العنف ونسْبتها إلى من سماهم البلاغ "الرعاع"، عدلت "الوطن" و"المقطم"والصحف الأجنبية الصادرة بمصر، موقفها من الطلبة، تمشيا مع سيا مة السلطة البريطانية. وانتهى الأمر إلى تبرئة كافة الصحف للطلبة من أعمال العنف. وكان الطلبة يلجأون إلى الصحف لتوضيح مواقفهم، وتكذيب الأنباء المغرضة التى كانت تذاع أحيانا عنهم. فقامت أكثر الصحف ومنها: "المقطم"، "الوطن"، "المنبر"، "الأخبار"، "وادى النيل" و"الأهالى"، بنشر بيانات الطلبة وتعضيدها.

ثورة الأقاليم

ثم تزايدت الأعمال الثورية وامتدت إلى كافة الأقاليم، فتصدى الجيش البريطانى لها بعنف. وسقط الشهداء والجرحى من

المصريين، فطغت أخبار الثورة على صفحات كل الصحف المصرية، فخصصت لها أبوابا ثابتة.

واشتدت كل الصحف فى حملتها على أعمال العنف والتخريب. وفى نفس الوقت حاولت الصحف الوطنية، نقد سياسة الإحتلال البريطانى وتصرفات رجاله. ولكن الرقابة البريطانية على الصحافة، التى سمحت للصحف بنقد أعمال التخريب التى صاحبت بعض المظاهرات، قامت بحذف المواد الصحفية الناقدة لسياسة الإحتلال وسلوك سلطاته، فظهرت مكانها مساحات بيضاء.

مظاهرات النساء والعمال

ومما يجدر ذكره أن بعض العوامل السياسية والإجتماعية والإقتصادية تدخلت، لتقيد حرية الصحافة فى نشر أخبار بعض المظاهرات والإضرابات. فبسبب قيود الرقابة الصحفية والتقاليد الإجتماعية، لم تنل المظاهرتان النسائيتان فى يومى ١٦ و٢٠ مارس ١٩١٩، حظهما على صفحات الصحف المعاصرة.

وتحت تأثير الرقابة البريطانية على الصحافة، وعقود



سيدة مصرية تقف في مركبتها رافعة يدها تحيي الشعب و تهتف بحياة مصر واستقلالها.

علانـات والمصـالح الإقتصادية المشـتركة، بـين أصحـاب الصحــف
ـصحـاب المصـانع والوكـلاء التجـاريين، كـانت أخبـار مظـاهرات
ـضرابات العاملين فى الصناعة والتجارة، المنشورة فى الصحف، أقـل
ـيرا مما حدث فى الواقع، وذكره المؤرخون فيما بعد.

التحية للأهرام والسخط للمقطم

وكان الشعب الثائر متيقظا لسياسـة ومواقـف كـل صحيفـة.
ـد أن تعاطفت "الأهرام" مع الثورة، إتجهت مظاهرة يوم ١٧ مـارس
١٩١، إلى داره‍ـا لتحيتهـا والهتـاف بحياتهـا. وازداد الإقبـال علـى
اعتها، فارتفع توزيعها إلى خمس وعشرين ألف نسـخة يوميـا، وهـو
ـبر رقم وصل إليه توزيع صحيفة مصرية فى فترة الثورة.

هـذا ، بينمـا قـاطع الوطنيـون صحيفـة "المقطـم"، وهـاجموا
ارتها ومطبعتها، وخربوا إحدى مزارع أصحابها، لمعاداتهـا المطـالب
لأمانى الوطنية. فهبط توزيع "المقطم" بشـدة، وأحنـت رأسـها أمـام
ـار الثورة الجارف.

إرهاب الصحف

ثم اتسع نطاق الثورة فى أسبوعها الرابع، بانضمـام الموظفـين

المدنيين فى الحكومة وفئات أخرى من الشعب، إلى حركة الإضراب عن العمل. وتعاطفت سائر الصحف الوطنية معهم، فشددت السلطات قبضتها على هذه الصحف.

وحذفت الرقابة كثيرا من مواد صحف: "الأفكار"، "الأهالى" و"وادى النيل". ومع هذا أعلنت الصحف الثلاث، ومعها "الأهرام"، "المنبر" و"مصر"، مساندتها للجماهير الثائرة. واحتجت على سياسة الإحتلال البريطانى بالإحتجاب عن الصدور عدة أيام، خلال الأسبوع الأول من أبريل ١٩١٩. فحاولت السلطة العسكرية إرهابها، بتعطيل "المنبر" من يوم ٢ إلى يوم ٨ أبريل، وتعطيل "مصر" من يوم ٣ إلى يوم ١٩ أبريل ١٩١٩.

مهادنة الثورة

فشل المسئولون البريطانيون فى مواجهة الثورة بوسائل الكبت والقهر والعنف. فاتجهوا إلى مهادنة الثورة والتخفيف من حدتها، بالسماح للقادة المصريين بالسفر لعرض قضية مصر فى لندن أو باريس، وتشكيل وزارة مصرية معتدلة، تُجَدَّدُ لها الدعوة لزيارة لندن. وذلك بعد أن نجحت الحكومة البريطانية فى إقناع حلفائها فى مؤتمر

السلام، بالإعتراف بالحماية البريطانية على مصر، وانتفاء أى ضرر يصيب المصالح البريطانية من عرض المطالب المصرية على المؤتمر أو الحكومة البريطانية.

وتنفيذا لسياسة مهادنة الثورة، سمحت الرقابة للصحف المصرية بمتابعة أخبار الزعماء المنفيين، لأول مرة منذ نفيهم. ونشرت "وادى النيل" -يوم ٦ أبريل ١٩١٩- حواراً أجراه محمود أبو الفتح مع "الجنرال أللنبى"، المندوب السامى البريطانى فى مصر والسودان، لاستطلاع ما تنويه بريطانيا تجاه الأمانى المصرية. وهو أول حديث يجريه صحفى مصرى مع مسئول بريطانى كبير. واستطاع أن يعبر فيه عن رأى الساسة المصريين الوطنيين، فيما يجب أن تكون عليه العلاقة بين مصر وبريطانيا.

الإفراج عن الزعماء

وصدر قرار الإفراج عن الزعماء المنفيين، يوم ٧ أبريل ١٩١٩، فأبدت كل الصحف الوطنية سعادتها به، كخطوة على طريق تحقيق الآمال الوطنية. ورحبت به صحيفتا الإحتلال البريطانى: "المقطم" و"الإجبشيان جازيت"، لأنه صدر عن الحكومة البريطانية

حديث عن مصر
مع فخامة الجنرال اللنبي

اتيح لاحد محرري هذه الجريدة فرصة وجوده في الماسة خلال الحوادث الاخيرة لحصل من فخامة الجنرال اللنبي على التصريحات الآتية قال:

«مهنة الصحفي ان يتبين الرأي العام في مصر ويطلع الامة بكافة الوسائل على حقيقة الحال لتكون رأيها فيها وتوطد عزيمتها على ما تعتقد انه الحق وان فيه دون غيره الخير والمصلحة»

ولما رأيت الواجب يقضي بعد التصريح المعروف الذي صرح به فخامة الجنرال اللنبي بعد عودته من باريس في ٢٥ مارس ان استطلع نياته ونيات الحكومة البريطانية حيال مصر والمصريين طلبت محادثته فدعيت الى مقابلة فخامته في منتصف الساعة العاشرة من صباح اليوم وقد استقبلني في مكتبه احسن استقبال واقفاً مصافحاً وقال انه يسره ان يقابل مادة الرأي العام والمطلع على افكار الامة ولكي يتبين الحقيقة سألت فخامته عما اذا كانت الحكومة البريطانية مصممة على بسط الحماية على مصر دون اخذ رأي الامة المصرية في ذلك فقال فخامته ان حكومة جلالة الملك اعلنت الحماية ثابتة في نص قرار تهدئ وليس في استطاعتي ان أقيد حكومة جلالة الملك بوعود. فقد جئت لاخماد الفتن الحالية وحكم البلاد على أحسن طريقة. فشرت الى تصريح فخامته للاعيان وما وعد به من النظر في شكاوى المصريين بالانصاف التام ودراسة مطالبهم وسألته هل تكون بيانات تعبيراً عن هذه المطالب. فذكر انه لم تتقدم اليه مطالب سوى تقرير من الوطنيين (ويسمى بهم جماعة الوفد) ولكنهم يطلبون الاستقلال التام وقد صرحت حكومة جلالة الملك بما فيه الكفاية»

«وراجعت فخامته بتلو تصريح اللورد كرزون في مجلس العموم عن مصر من جريدة كانت على منضدته ثم قال: لقد أخذت على عاتقي القيام بفحص جميع المطالب بدون تمييز أو محاباة وانى على استعداد لنظر الشكاوى في المستقبل متى عادت السكينة».

«فقلت الا ترى فخامتكم ان خير وسيلة لاعادة السكينة هي ان يؤذن للمصريين بأن يسمع صوتهم في مؤتمر الصلح وهل يمكن ان تعدوا بشيء. فقال ان رأي حكومة جلالة الملك جلي من التصريحات التي صدرت في مجلس العموم خاصة بالحماية التي اعلنت في سنة ١٩١٤ وهذا لا يتغير. وليس في وسعي ان اقول شيئاً آخر فمهما واجبي فهو محدد تحديداً جلياً ولا بد من اعادة النظام أولاً. ولا يمكنني ان أشير على الحكومة البريطانية باجابة أي طلب وجنودي يقتلون والسكك الحديدية تدمر وحركة البلد تتعطل فمتى استتب النظام صح ان ننظر فيما يحصل

وتكلم فخامته عن حوادث الاعتداء والتدمير التي وقعت وأشار الى ما في ذلك من ضرر مادي وأدبي وقال ان مثل هذه الاعمال لا تعد مظاهرات سلمية ولا هي طريقة لعرض الاراء فاشرت الى الاسباب التي اثارت هذه الحوادث كلها فقال اني لا آخذ أحداً بآرائه السياسية وانما اعترض على طريقة الاعراب عنها ولان البلاد لاتزال تحت الاحكام العرفية فسألت فخامته عما اذا كان سفر أولئك النواب يأتي السياسة البريطانية في شيء. فقال ان حكومة جلالة الملك على استعداد لاستقبال ذوي المكانة ممن يريدون التفاوض في شأن مصر في ظل الحماية وقد ذكرت انها لا ترى فائدة من قدوم جماعة الحزب الوطني الذين يريدون فصل مصر عن بريطانيا الى لوندره ووعدت بزيادة حصة المصريين في حكم البلاد فذكرت لجنابه ان المسألة ليست مسألة حزب وطني وان الاشخاص المشار اليهم يمثلون مطالب الامة فاذا كان هناك شك في ذلك يصح أن يؤخذ رأي الأمة نفسها في الامر فكرر لي القول بانه لا يمنع أي شخص من الاعراب عن رأيه بالوسائل المشروعة وانه على استعداد لسماع ما يعرض عليه من المطالب والشكاوي ولكنه لا يستطيع البحث في أمر الحماية من حيث هي وذكر انه لا بد من اخماد القلاقل قبل كل شيء واستأذنه في نشر تصريحاته بعد عرضها فأذن لي».

الحديث الذى أدلى به "أللنبى" إلى محمود أبو الفتح، ونشرته "وادى النيل" يوم ٦ أبريل ١٩١٩، على صفحتها الثانية.

لتى تخدمان سياستها.

ولما سافر أعضاء الوفد المصرى، من مصر إلى فرنسا يوم ١١ بريل ١٩١٩، للإنضمام إلى رئاسته هناك، أحاطتهم كل الصحف عبارات التعضيد. واستثمرت الصحف الوطنية هذه المناسبة، لتطالب الدستور والحكم النيابى وعقد "الجمعية التشريعية" الموقوفة. ورافق لوفد المصرى إلى أوروبا، محمود أبو الفتح مندوبا عن "وادى النيل"، رتمكن من إحاطة القارىء المصرى بأخبار الوفد فى أوروبا، برسائله التى نشرتها "وادى النيل"، ونقلتها عنها أكثر الصحف المصرية، التى لم تستطع إيفاد مندوبين عنها، بسبب العقبات المادية.

تأليف نقابة الصحفيين

وفى هذا المناخ السياسى المتقلب، استشعر الصحفيون المصريون الأخطار تحيط بهم من كل جانب. فألفوا نقابتهم فى أبريل ١٩١٩، ملتمسين من تجمعهم فيها الأمان من بطش السلطات بهم.

وأقر أصحاب الصحف ومحرروها، فى آخر أبريل ١٩١٩، قانون النقابة، المؤلف من ١٣ مادة. وانتخبوا مجلس إدارة النقابة من

الرسالة الخامسة

الوفد المصري في رحلته

لمندوبنا الخاص المرافق للوفد

باريس في ١٩ مساء — وصل الوفد الى باريس في صباح اليوم بعد سفرة شاقة فقد كان البحر مضطربا بعد مالطه بقليل واشتد الهياج الى درجة قال الذين سافروا مرات انهم لم يروا لها مثيلا الا قليلا جداً كانت السفينة تنقلب نحو اليمين واليسار وترفع الامواج مقدمتها من الامام الى علو أمتار ولذا كان سيرها بطيئاً جداً وكانت تقطع البحر بسرعة خمس عقدات في الساعة فوصلت متأخرة عن الوعد المنتظر نحو يوم تقريبا وقصيبا في مارسيليا صباحة النهار في نزل اللوفر ومارسيليا ميناء كبيرة يرى فيها الانسان كل ألوان الجنسيات

ولقينا هناك المسيو جورج فيسيه الذي كان يرأس تحرير الجورنال دوكير وما كاد خبر وصول الوفد يعرف حتى اقبل وكلاء الشركات الاخبارية ومندوبو الصحف يطلبون محادثة الرئيس معالي سعد باشا الحادثة مندوب شركة راديو وشركة هافاس وجريدة «مارسيليا سبدى» الخ الخ فاعرب لهم معاليه عن مهمة الوفد وامانى المصريين

وفي منتصف الساعة السابعة مساء استقللنا قطار «الرابد» الى باريس وهو القطار المعروف باسم «باريس — ليون — البحر الابيض المتوسط» وكان موعده ان يصل الى باريس عند الساعة ٨ و٥٥ دقيقة من صباح اليوم التالى ولكنه تأخر ساعة

ليس قطار «الرابد» المذكور قطار واحد وانما ثلاثة قطارات بين كل قطار والآخر عشر دقائق

وصلنا الى باريس ولباريس محطات كل منها يؤدى السفر الى قسم من الاقسام سواء الى الشمال او الجنوب الخ وقد كانت المحطة التى وصلنا اليها اسمها محطة «ليون» لان منها يسافرون الى «ليون» وهناك وجدنا بعض الطلبة المصريين الذين بباريس ومنهم علمنا انهم سمعوا بقرب قدوم الوفد ولكنهم لم يكونوا يعرفون ساعة الوصول

ونزل اعضاء الوفد في عدة فنادق حتى يجدوا مكانا يلم شملهم جميعا فنزل سعد باشا وفريق في «الجران اوتيل» ونزل الباقون في الكونتنتال أوتيل واوتيل بردفورد واوتيل فاجرام ولكنهم اخذوا في الوقت نفسه يبحثون عن مكان يكون مركزاً للوفد

وقد اشارت الصحف الى وصول الوفد وقابلته بعبارات تدعو الى التفاؤل ونشر الكثير منها عبارات عن القضية المصرية واحاديث مع رئيس الوفد ونشرت الاكسلسيور والبتى باريزيان صورة سعد باشا

وأخذ رجال الوفد منذ وصولهم يقسمون مهمتهم واعمالهم وستقيم لهم الجمعية المصرية بباريس حفلة شاي بعد ظهر اليوم سأكتب لكم عنها

محمود أبو الفتح

صحيفة "وادى النيل"، تنشر فى ١٤ مايو ١٩١٩، على صفحتها الأولى، الرسالة التى بعث بها محمود أبو الفتح مندوبها الخاص من باريس، عن وصول الوفد المصرى اليها

١ عضوا. ثم انتخب مجلس الإدارة: جبرائيل تقلا نقيبا، أمين الرافعى كيلا، سيد على أمينا للصندوق، سليمان فوزى كاتما للسر، وجندى راهيم عضوا فى اللجنة التنفيذية(٢٧).

موجات النضال الصحفى

وكانت عمليات نضال الصحف الوطنية، وإجراءات سلطات الحاكمة لمقاومتها، تبدو كموجات المد والجزر. فعندما عترف الرئيس الأمريكى "ولسن" بالحماية البريطانية على مصر، فى بريل ١٩١٩، منعت الرقابة الصحف المصرية من معارضته. فسكتت لصحف الوطنية، بينما امتدحته "الوطن" المتحمسة لسياسة الإحتلال، "البصير" المسايرة لها.

ولما ألف محمد سعيد الوزارة، فى ٢١ مايو ١٩١٩، قابلها لشعب بالسخط والتظاهر، لمخالفتها الرغبة الوطنية فى مقاطعة لسلطات البريطانية. فلجأ رئيس الوزارة إلى الصحافة المصرية، محاولا إقناع الشعب بصحة موقفه، وشرح مهام وزارته فى حديث إلى صحيفة "مصر".



بعض الرجال والسيدات والأطفال فى مظاهرة على عربة "حنطور" ترفع علم الثورة: الهلال والصليب، إبتهاجا بإطلاق سراح الزعماء فى أبريل ١٩١٩.

وكانت أكثر الصحف غير راضية عن قبول محمد سعيد تأليف الوزارة فى ظل الحماية البريطانية، ولكن الرقابة أمرتها بعدم معارضة الوزارة والإحتلال. فلما خالفت صحيفة "السفور" أوامر الرقابة، وذكرت بعض أخطاء السياسة البريطانية فى مصر، عطلتها السلطة العسكرية من ٢٦ يونية حتى ٢٠ يولية ١٩١٩. واعتقلت صاحبها عبد الحميد حمدى. فلجأ الوطنيون إلى إرهاب محمد سعيد، ومحاولة إغتياله فى سبتمبر ١٩١٩. ولكن أسلوب العنف أدين بشدة من قبل صحيفة "الأهالى" ذات الصلة الوثيقة برئيس الوزراء. كما عارضته صحيفتا الإحتلال: "الوطن" و"المقطم"، والصحف المعتدلة: "الأهرام"، "البصير" و"اللطائف المصورة". أما صحيفتا الوفد: "مصر" و"النظام"، فقد أدانتا العنف، كما أدانتا السياسة البريطانية التى أدت إليه.

إنفراج الأزمة

واستطاعت الصحافة الوطنية أن تفيد من التطورات السياسية والإقتصادية، التى حدثت منذ أواخر يونية ١٩١٩، فى تقوية أركانها ودعم مواقفها، فى مواجهة الإحتلال البريطانى وسلطاته. فقد ألغيت



اللطائف المصورة

AL LATAIF AL MUSAWARA

Proprietor ISKANDAR MAKARIUS

No. 217 - Vol V. CAIRO 7th APRIL, 1919

(العدد ٢١٧) (السنة الخامسة) القاهرة يوم الاثنين في ٧ ابريل سنة ١٩١٩ ثمن النسخة ١٠ مليمات موقتاً

فليحي الوطن

فلتحي مصر

فلتحي الامة المصرية الكريمة

فلتحي الشبيبة المصرية

فلتحي السيدات المصريات

"اللطائف المصورة"، الصادرة يوم ٧ أبريل ١٩١٩، أحاطت غلافها بشريط من الورق، عليه صورة العلم المصرى، وعبارات التحية للوطن والأمة، بمناسبة الإفراج عن الزعماء المنفيين والمعتقلين.

لرقابة التحفظية أى السابقة للنشر، إبتداء من يوم ٢٨ يونيــة ١٩١٩، بمناسبة إنتهاء حالة الحرب العالمية رسميـا، وتوقيـع معـاهدة "فرسـاى". ورغم استمرار الرقابة اللاحقة بالنشر، فقد أفادت الصحف من توقف الحذف من موادها، فى توسيع دائرة خدماتها الإعلامية لقرائها.

وفى نفـس الفـترة، توفـرت كميـات الـورق، فـانخفض ثمنـه، وألغيت قيود إستهلاكه. فضاعفت بعـض الصحـف عـدد صفحاتهـا، وخفضـت بعضهـا ثمـن بيعهـا. فكـثرت موادهـا المنشـورة وتنوعـت، وارتفع توزيعها، فتحسنت أحوالها الإقتصادية.

كما أفادت الصحف من اتجاه الأزمة السياسية إلى الإنفـراج، بعـد نجـاح مسـاعى محمـد سـعيد فـى يوليـة ١٩١٩، لإلغـاء المحـاكم العسـكرية والإفـراج عـن المعتقلـين السياسـيين، وإبطـال الرقابـة علـى المراسلات بين مصر والخارج. فوسـعت الصحـف دائـرة الموضوعـات التى تتناولها، وازدادت قدرتها على التعبير عن آرائها الذاتية.

انضمام ٣ صحف للوفد

كانت أكثر الصحف المصرية، تؤيد الوفد كجبهة وطنية تتبنى

الأهرام

جريدة مصرية للمصريين

المسألة المصرية
وجريدة الاجبشيان ميل

نشرت جريدة الاجبشيان ميل في عددها الصادر تاريخ ٢٠ مايو الحالي المقال الافتتاحي التالي تحت عنوان الوطنيون في باريس قالت فيه :

تدل المقالات التي ظهرت حديثاً في الصحف العربية ان المصريين بدأوا يستردون ميزان فكرهم الذي فقدوه مرة واحدة في الشهر الماضي وهم يسلمون الان بان مهمة الوفد المصري شاقة . وقد ارسل اليهم بعض اخوانهم في باريس يقولون بانهم ينظرون الى الاشياء بغير العين التي كانوا ينظرون بها في مصر وقد سافر الوفد المصري لغرض معين وهو الاستقلال التام لمصر والسودان . ولكن بعد ان أعلن الرئيس ولسن الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر وذكر ذلك في معاهدة الصلح المعروضة مما يدل على ان أي حليف لم يعترف حتى الان بالحماية مستعد لذلك عند التوقيع على معاهدة الصلح نهائياً. وهذا يزيد صعوبة مهمة المندوبين المصريين ولكن ما زالت أفكار الطبقة النصف متعلمة تمرح في عالم الخيال وتحلم بأمانيها المتطرفة ولا بد أن يكون لصدمة خيبة الامل تأثير عظيم في بعض الدوائر عندما يظهر أن مجهوداتهم لم تخب فقط بل لم يكن هناك رجاء بنجاحها ونحن ننتظر ان تصاغ المراسلات التي ترد من باريس في قالب لتدخل على الاذهان بالتدريج

فماذا يفعل المصريون حينئذ ؟

رأي جريدة التيمس
في المسألة المصرية

نشر « روتر » من لندن بتاريخ ١٦ مايو الحالي ما يلي : —

علقت التيمس على خطاب اللورد كرزن فقالت بلهجة التساؤل لماذا لم تعلن الحكومة منذ مدة طويلة عزمها على ارسال لجنة . ثم قالت انه من الضروري جداً الاسراع في وضع مشروعات للاصلاحات الدستورية

اما من وجهة اسباب الحركة فترى التيمس ان المستوى العالي الذي بلغته الادارة البريطانية في مصر في الماضي لم يحتفظ به احتفاظاً تاماً في العهد الاخير . والاساليب التي تعد ملائمة كل الملاءمة لرقي البلاد في طور الانتقال تستوجب ادخال تعديلات عليها ويجب في المستقبل ان يكون الاعتماد على كفاءة رجل واحد اقل من الماضي ولو كانت تلك الكفاءة ممتازة . ويجب التوسع في طريقة الحكم على قواعد تمكن الرأي العام المصري من ان يكون له صوت اكثر نفوذاً في ادارة السياسة . وتحتاج وزارة المعارف العمومية الى تعديل تام فينبغي بذل مجهودات من شأنها اظهار هذه الحقيقة وهي ان تهيئة رجال لمصالح الحكومة لا يمكن ان تكون غاية التعليم الوحيدة حتى في مصر نفسها

أما ما يتعلق باسباب الهياج الخارجية فان التيمس تنسب ارتياع المسلمين الى مخاوف شديدة بشأن مصير الخلافة وان تكن تلك المخاوف غير قائمة على اساس . وتصرح تلك الجريدة بان مسألة الخلافة مسألة تتعلق بالمسلمين دون سواهم ولا يدور في خلد أية دولة غربية على الاطلاق ان تتداخل في مثل هذه المسألة . على انه يكون من الاوفق ابداء تأكيدات جديدة بهذا الشأن

صحيفة "الأهرام" الصادرة في ٢٢ مايو ١٩١٩، تنقل على صفحتها الأولى، تعليق صحيفة "الإجبشيان ميل" ووكالة "رويتر"، على مهمة الوفد المصرى وأسباب الثورة فى مصر.

رفع المطالب المصرية، فى مواجهة الإحتلال. وفى أغسطس ١٩١٩، نجحت جهود الوفد فى "ضم" ثلاث صحف هامة إليه، هى: "النظام"، "مصر" و"وادى النيل". وأخذت الصحف الثلاث تعبر عن أهداف الوفد وتشرح خططه، بينما تولت "لجنة الوفد المركزية" دعمها ماديا وسياسيا(٢٨).

الوفد والصحافة بالخارج

وصل الوفد المصرى إلى "مارسيليا" ظهر يوم ١٨ أبريل ١٩١٩، بينما كانت صفحات الصحف فى مصر، تزخر بأخبار سفره، ومقالات تأييده وتشجيعه للقيام بمهمته الوطنية، والتمسك به ممثلا وحيدا للشعب المصرى.

وقد اعتمد كفاح الوفد امصرى بالخارج، على وسائل الإعلام، وأبرزها الصحافة، بجانب استخدام كافة أساليب السياسة، مما دعاه إلى تخصيص لجنتين من لجانه الثلاث للنشر والحفلات، وإنشاء مكتب للإعلام بلندن، وإرسال أحد أعضاء الوفد إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتجنيد أحد كبار محاميها للدفاع عن المطالب المصرية.

اهتمام صحافة اميركا بالقضية المصرية

تلغراف خصوصي لجريدتنا من مكاتبيها في باريس

باريس في ٨ سبتمبر الساعة ١٠ والدقيقة ٢٥ مساء

جريدة مصر بمصر

ثلاثون جريدة اميركية من أكبر جرائد أميركا وأوسعها انتشارا وأقواها تأثيرا نشرت المقالات الضافية عن ضرورة انصاف المصريين في مطالبهم العادلة وتلت أمراها الآلاف العديدة من سائر الجرائد الاميركية المتنوعة معززة أقوالها

ناصف والبيلي

صحيفة "مصر" الصادرة فى ٩ سبتمبر ١٩١٩، تنشر رسالة خاصة من مكاتبيها فى باريس، مجد الدين ناصف و عبد الرحمن البيلى، عن إهتمام الصحف الأمريكية بالمطالب المصرية.

رئيس الوفد المصري

يهنئ الامة المصرية بالعيد

ويشكر لها عطفها

أرسل صاحب المعالي سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصري الى صاحب السعادة محمود سليمان باشا رئيس اللجنة المركزية التلغراف الآتي .

باريس في ٨ سبتمبر سنة ١٩١٩

أنتهز فرصة العيد المبارك أنا وزملائي أعضاء الوفد لنهنئكم أنتم وحضرات المحترمين أعضاء اللجنة المركزية كما نهنئ جميع مواطنينا الاعزاء ونرجو أن تبلغوا شكرنا الخالص لجميع من تفضلوا بارسال تهانيهم واعربوا عن عواطفهم الشريفة بلسان البرق ولنتجه جميعاً الى الله سبحانه وتعالى لتحقيق أمانينا القومية

الامضاء سعد زغلول

صحيفة "الأهرام" الصادرة فى ١١ سبتمبر ١٩١٩، تنشر برقية سعد زغلول من باريس، التى يهنىء فيها الأمة المصرية بالعيد.

وعنى رئيس الوفد وأعضاؤه بنشر حقائق المسألة المصرية، وتفنيد مزاعم خصومها. ولجأ الوفد إلى وسائل الإقناع والإستمالة والدعم المادى، لكسب الصحف ورجال الرأى والسياسة فى أوربا وأمريكا، إلى جانب الأمانى المصرية. وتمكن الوفد والجمعيات المصرية فى أوربا من التأثير فى الرأى العام الأوربى والأمريكى، رغم وقوف بريطانيا بإمكاناتها المتعددة، ضد الأمانى والمساعى المصرية.

وتابعت الصحف المصرية نشاط الوفد فى الخارج، ونقلت إلى المصريين خطبه وأقواله وكتاباته، معتمدة على وكالات الأنباء والصحف الأجنبية والمراسلين الخاصين: محمود أبو الفتح، مبعوث "وادى النيل"، ومجد الدين حفنى ناصف وعبد الرحمن البيلى، مكاتبىْ "مصر" المقيمين بأوربا. وشارك الثلاثة فى الأنشطة الإعلامية والسياسية للوفد وتجمعات المصريين فى أوروبا.

كما وضع الصحفى المصرى قرياقص ميخائيل، صاحب مكتب "الأخبار والإستعلامات" و"النشرة المصرية" بلندن، كافة إمكاناته الإعلامية والسياسية، فى خدمة الوفد والقضية المصرية. وبلغ

دور قرياقص ميخائيل من قوة التأثير، ما استحق عليه التكريم من مصر والإضطهاد من بريطانيا. فلما طردته الحكومة البريطانية بسبب فضحه جرائم جيشها فى مصر، إستقبله الوفد والشعب المصرى بمظاهر التقدير والتكريم، عند وصوله إلى القاهرة فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٩. واحتفت به كافة الصحف الوطنية، فيما عدا صحيفة "الكشكول" المعادية للوفد، التى سخرت منه وقللت من دوره.

وقد صدم الوفد باعتراف الولايات المتحدة الأمريكية ومؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر، فأخذت كافة الصحف الوطنية تخفف من وقع الصدمتين عليه، وتشجعه على المضى فى سبيل تحقيق أهدافه، متمسكة بدولية المسألة المصرية. أما الصحف المتعاونة مع الإحتلال البريطانى، تتقدمها "الوطن"، فاستثمرت الموقف لإشاعة اليأس، والحث على حصر القضية بين بريطانيا ومصر.

الخلاف فى الوفد

ولما وقع الخلاف بين رئيس الوفد ومعه بعض أعضائه، وبين باقى الأعضاء والجمعية المصرية بباريس، حول دولية المسألة المصرية،

والسياسة الإعلامية لسعد زغلول والوفد، وعاد بعض الأعضاء إلى مصر مستقيلين أو مفصولين، وقفت الصحف الوطنية تتقدمها صحف الوفد: "مصر"، "النظام" و"وادى النيل"، إلى جانب الوفد والإستقلال التام وفضح الجرائم البريطانية. بينما أيدت "الوطن" المساندة للإحتلال، و"الأهالى" وثيقة الصلة بمحمد سعيد، الأعضاء المنشقين. وآثرت "المقطم" و"الأهرام" الوقوف على الحياد. وفى ظل هذا الخلاف، حجب سعد زغلول ثقته عن محمود أبو الفتح ومجد الدين حفنى ناصف، مما عرضهما لكثير من النقد والمشكلات السياسية والصحفية.

رأي معالي سعد باشا
في لجنة ملنر

قرأنا في احد اعداد جريدة الجورنال الواردة في البريد الاخير ما يأتي

روي من لوندرا انه تم تأليف اللجنة التي ستذهب الى القطر المصري لاجراء البحث في اسباب الاضطرابات التي حدثت اخيراً هناك وتضع تقريراً عن الحالة الحاضرة وتعين شكل الدستور الذي يكون له حظ اكثر من غيره في ابقاء السلم والرفاهية تحت ظل الحماية وتربية الامة للاستقلال الذاتي وتضمن مصالح الاجانب وهذه اللجنة تشمل اللورد ملنر رئيس والجنرال مكسويل الذي كان قائداً للجيوش الانكليزية في القطر المصري في سنتي ١٩١٤ و١٩١٥ والسير رنل رود معتمد انكلترا سابقاً في روما والجنرال اوين توماس العضو بالبرلمان والخبير بالشئون الزراعية في المناطق الحارة والمستر سبندر رئيس تحرير الويستمنستر غازيت. والمستر هرست المدير القانوني الملحق بوزارة الخارجية

وقد سألنا صاحب السعادة سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصري امام مؤتمر الصلح عن رأيه في تأليف هذه اللجنة فقال لنا ما يأتي

« ان غرض هذه اللجنة يبدو قبل كل شيء غريباً أليس من العبث القيام بتحقيق في شأن الاضطرابات الاخيرة؟ أليس العالم كله على علم اليوم باسباب هذه الاضطرابات؟ ومن ذا الذي لا يزال يجهل انها نشأت من ارادة انكلترا ان توجب حمايتها على مصر رغم ارادة مواطني الاجماع ومن رفض مؤتمر الصلح سماع اماني المصريين؟

« ومع ذلك فمن رأينا ان النظر لمركز مصر الخاص ان لجنة هي دولية دون غيرها التي تكون قادرة على القيام بتحقيق مع الحصول على شيء من الفائدة على ان ذلك لا يكون الا بشرط ان يجري التحقيق بالشروط المرعية في ظل الحرية والاستقلال

« غير ان هذا أيسر حيل مع الاسف فانظروا ما يجري في سوريا فان فرنسا كانت دائماً ترفض ان ترسل لجنة امريكية للتحقيق في الاقاليم التي تحتلها جيوش انكليزية فماذا يكون في تحقيق انكليزي يجري في القطر المصري الذي تحتله جيوش انكليزية؟ واية فائدة او نفع يرجى من اعمال تجري في مثل هذه الاحوال؟

« ثم ان الداعي مثل دائماً لانتقاد تأليف هذه اللجنة التي لا نزعم اعضاءها باسمائهم وجوه عديدة لان تعمل بتحقيق دقيق كهذا الى نهاية حسنة ونشرت هذه الجريدة قولها فقالت « ان السير جون مكسويل هو الذي كان في سنة ١٩١٥ مسئولاً عن ادارة البلاد بوجه الظاهر ويحقق في مصر وما له ومسلكه في شئونها؟

« اما اللورد ملنر فهل يمكن ان ننسى انه مؤلف كتاب عن مصر ذي شهرة عامة واما لا ارى في السير رينل رود الذي كان منذ عشرين سنة تقريباً وكيل اللورد كرومر ما هي الصفات التي تمكنه من ان يدرك الحالة النفسية في مصر الحديثة وهو لا يعرفها

« والحق ان هذه اللجنة قررت لغرض واحد وهو ترضية المعارضة في البرلمان الانكليزي»

وقد رماها معالي سعد زغلول باشا في ختام كلامه ان صرح بان بعض الاحاديث الصحفية اسندت اليه اخيراً وزعم انه قال في احدها « ان انكلترا تحدث في مصر نزاعاً بين النساء والاطفال » و« ان الشعب المصري يعرف ان وعود الامم الحالية من كل دمة لن تنفذ وسيعرف كيف ينصف نفسه بان يسمع صليل السيوف ». ثم قال « اني لم أفه بمثل هذه التصريحات. فليس في وسعنا ان نشك في عدل الشعوب في الوقت الذي نسعده فنحن لا نشك فيه بل ننتظر تحقيق امانينا المشروعة »

صحيفة "وادى النيل" الصادرة فى ١٥ أكتوبر ١٩١٩، تنقل عن صحيفة "الجورنال" الفرنسية، رأى سعد زغلول فى لجنة "ملنر".

(٣)

إمتداد الثورة .. وإجراء المفاوضات

أخذت الحكومة البريطانية، منذ شهر أبريل ١٩١٩، تبحث فكرة إيفاد لجنة من الخبراء البريطانيين إلى مصر، تصل بها إلى عدة أهداف، هى: أولا، معرفة الأسباب الحقيقية للثورة المصرية، ووسائل ملافاتها فى المستقبل. ثانيا، الإتصال مباشرة بالشعب المصرى، مع تجاهل زعمائه فى باريس، لعزلهم عنه وإفساد مهمتهم. ثالثا، الحصول على اعتراف الشعب المصرى بالحماية، ليكتمل به الإطار القانونى الشرعى لها، بعد الإعتراف الدولى بها. رابعا، إقتراح النظام الدستورى لإدارة مصر تحت الحماية البريطانية. وخامسا، إحداث شرخ فى الجبهة المصرية، بإثارة الآراء والمواقف المختلفة فيها(٢٩).

الوفد يقاطع اللجنة

وقد اختلفت الآراء حول اللجنة. لكن لم يتم شهر يولية ١٩١٩، حتى كان رأى الوفد المصرى قد استقر على اقتراح عبد



سينوت حنا

من أوائل أعضاء الوفد الأقباط. كان لمقالاته "الوطنية ديننا والإستقلال حياتنا" في صحيفتي "مصر" و"الأفكار" شهرة واسعة وتأثير قوي في حوادث الثورة.

الرحمن فهمى، سكرتير عام "لجنة الوفد المركزية"، بمقاطعة لجنة "ملنر" فى مصر(٣٠) . فتصدرت صحيفة "النظام" منذ أغسطس ١٩١٩، كافة الصحف المؤيدة للثورة، ومنها "الأخبار" و"الأهرام" فى نشر الدعوة لمقاطعة اللجنة فى مصر، وإحالتها إلى زعامة الوفد فى باريس.

وفى أثناء المعركة الصحفية حول لجنة "ملنر"، نشط "الحزب الديمقراطى المصرى" المؤيد للوفد والمعارض للجنة. وفى نوفمبر ١٩١٩، تألف "الحزب المستقل الحر"، منبثقا من جماعة "نادى الأعيان"، وهو حزب صغير مساير للسياسة البريطانية، متعاون مع لجنتها. واتخذ من صحيفة "المنبر" لسانا لحاله: ولم تتم سنة ١٩١٩، حتى كانت الصحف الوطنية و"لجنة الوفد المركزية" قد أفشلت مهمته.

إستقالة الوزارة

وألحت الصحف المعارضة للجنة "ملنر" على محمد سعيد رئيس الوزراء، ليعلن مقاطعته اللجنة أو الإستقالة. واشتد الإلحاح بمقالات سينوت حنا: "الوطنية ديننا والإستقلال حياتنا"، فى صحيفة "مصر"، حتى أعلن رئيس الوزراء الإستقالة يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٩ (٣١).

اللطائف المصورة

Al Lataif Al Musawara

Proprietor ISKANDAR MAKARIUS

No 249-Vol V CAIRO, 17th NOVEMBER 1919

(العدد ٢٤٩) (السنة الخامسة) — القاهرة في يوم الاثنين ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٩ — ثمن النسخة ١٠ مليمات موقتاً

احتجاج الاسكندرية على لجنة اللورد ملنر

ما احتجت اهالي الاسكندرية بالمظاهرات التي اقاموها كل يوم جمعة بعد خروجهم من الصلاة الا صورة مصغرة للشعور العام المتبادل بين سكان جميع عواصم ومدن مصر لم يترك الشعب المصري الملتهب بنار الحماس الوطني وسيلة من وسائل اظهار الاحتجاج على لجنة ملنر التي اصبح امرها معروفاً (ومثلناها بالصور مرتين) الا عمد اليها احتج الشعب هاتفاً بسقوطها آلافاً مؤلفة في الاسكندرية كما احتج هاتفاً بوجوب مقاطعتها على صفحات جميع الجرائد من غير استثناء



واحتج ايضاً بعشرات الـ... التلغرافية رفعها الى الـ... المالية في مصر وفي... مندداً بفكرة ارسال ... معلناً مقاطعته لها كل د... الرئيس ولسن ولوجو... الى جانب الحلفاء وبحكم... المروءة وعبادئ الار... جعل الامة تستيقظ من... وقد ادركت السر من ار... لجنة ملنر . كانت مظاهـ... الاسكندرية مظاهرات ... لاغبار عليها رغم ... المتغرضين . ولا عبرة عا... فيها من الحوادث المـ... المحرمة التي كانت بلاشك ...

(البقية على الصفحة التا...



"اللطائف المصورة" الصادرة يوم الإثنين ١٧ نوفمبر ١٩١٩، تصف بالكلمة والصورة إحتجاج أهالي الإسكندرية على اعتزام لجنة "ملنر" القدوم إلى مصر.

إضطهاد معارضي اللجنة

وفي أواخر أكتوبر ١٩١٩، إندلعت المظاهرات تهتف بالإستقلال وسقوط اللجنة. وتصدى لها البوليس، فسقط الجرحى والشهداء. وهاجمتها "الوطن"، بينما إستثمرتها صحف: "الأفكار"، "النظام"، "الأهالي"، "الأمة"، "الأهرام"، "وادى النيل"، "مصر" و"اللطائف المصورة"، لفضح السياسة البريطانية. واعتقل البوليس، محمد على حسن، مراسل "الأفكار" بالإسكندرية، واتهمه بالتحريض على اندلاع المظاهرات.

وشددت السلطات البريطانية قبضتها على الصحافة المصرية. فآثرت "السفور" السلامة، واتجهت إلى الأدب. بينما شددت صحيفتا "الأفكار" و"المحروسة" حملتهما على الإحتلال، فعطلتهما السلطة العسكرية يوم ١٨ نوفمبر ١٩١٩. واعتقلت محمود سليمان وابراهيم سعيد وغيرهما من قادة "لجنة الوفد المركزية"، ووضعت عبد الرحمن فهمي تحت المراقبة، لتحريضهم الجماهير ضد الإحتلال.

في استقبال اللجنة

ألف يوسف وهبة الوزارة، يوم ٢١ نوفمبر ١٩١٩، فعارضته

الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا

- ٨ -

الوزارة الجديدة

للرأي العام في كل بلد قوة لا تقهر وعبثاً يحاول أحد الدول على ارهاقها فهي تيار جارف تتعرضه الصخور فلا تلبث أن تجتازها بقوة اندفاعه. ولقد وجد الرأي العام المصري مجالاً فسيحاً لاظهار هذه القوة في خلال هذا العام الحافل بالحوادث وكان أجلى مظاهره تلك الازمات الوزارية الخاصة التي لم يرلها مثيل الا في البلاد الدستورية الراقية

نذكر جميعاً انه لما استقالت الوزارة الرشدية بعد ان تشبثت بمؤازرة الامة للدفاع عن قضية البلاد لم يجرؤ مصري على قبول تشكيل وزارة جديدة يترتب على وجودها شبه التصديق على ما ارتكبه الانجليز من حرمان مصر من اسماع صوتها في الخارج. وهكذا بقيت البلاد بلا وزارة حتى اضطرت انجلترا الى فك القيود التي كانت قد وضعتها

نذكر أيضاً انه بالرغم من ان الوزارة الرشدية الثانية استحقت ثناء البلاد لانها لم تتول الاحكام الا بعد ان عدل الانجليز عن خطة التعسف التي اتبعوها في منع الوفد المصري من السفر وفي اعتقال بعض أفراده فانها اضطرت الى الاستقالة اذ رأت من الرأي العام احجاماً عن تأييدها بسبب عدم احترامها وسيما بمهمة الوفد

كذلك نذكر انه لم يتصد بعد ذلك وزير مصري للحكم وبقيت البلاد بلا وزارة حتى تسلم محمد سعيد باشا زمام الوزارة فلم يستطع مصادرة الامة في شعورها ولجأ الى البدعة الغريبة «بدعة الوزارة الادارية» تاركاً أمر المستقبل السياسي للوفد المصري. ولقد استقالت وزارته أيضاً بقوة الرأي العام حينما أعلن عن قدوم لجنة اللورد ملنر بعد أن طالت بأجل الرضوخ مجاراة لذلك الرأي العام الذي نادى بمقاطعتها

ان هذه الامثلة كافية لاثبات تلك القوة الهائلة التي لابد من ان تطأطئ لها الرؤوس مهما كانت شامخة. غير انه لم يخطر لنا ان العظة البالغة المنطوية تحتها لم تكن ذات أثر في تشكيل الوزارة الجديدة فانه على الرغم من تلك العظة تشكلت الوزارة ولم يراع في أمرها انها لا تقوم الا برضاء الامة وثقتها. ولقد قالت الانجليز كما قالت أفراد تلك الوزارة ان الرأي العام الذي أسقط وزارة سعيد برغم انها توارت خلف بدعة «الوزارة الادارية» ليس بعزيز عليه ان يسقط وزارة جاءت في الوقت الذي يعد فيه قبولها للاحكام مصادرة حقيقية لشعور الرأي العام بل واستهتاراً بالبلاد التي ينبغي عليها الاخلاص في خدمتها واحترام شعور أهلها

اما اذا بحثنا الظروف التي أحاطت بتشكيل تلك الوزارة لوجدناها بعيدة عن أن تحقق الاغراض التي ينتظر أن تقوم بتحقيقها وزارة وطنية فلم يكفها انها تولت الاحكام بعد ان أجمعت البلاد بالتصميم على ارسال لجنة ملنر في الوقت الذي صممت فيه على مقاطعتها. بل رضيت ان تتولاها على أثر بلاغ رسمي للمرشال اللنبي وعلى أثر خطبة ألقاها المستر لويد جورج في مجلس العموم كلاهما ينادي بضرورة حماية انجلترا وسيطرتها على البلاد

ورضيت ان تحكم البلاد على قاعدة الحماية والبلاد لا تقبل هذه الحماية ابداً

مقال سينوت حنا، الذى يعارض فيه قبول يوسف وهبة تأليف الوزارة فى ظل الحماية البريطانية على مصر، والذى نشرته صحيفة "مصر" يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٩، على صفحتها الأولى.

أكثر الصحف الوطنية، تتصدرها "مصر". بينما أيدته بعض الصحف المسايرة للسياسة البريطانية تتقدمها "الوطن"(٣٢) .

واستعدادا لاستقبال لجنة "ملنر"، هددت السلطة العسكرية الصحف بالإغلاق إذا لم تعتدل فى لهجتها. ولكن صحيفة "مصر"، وخاصة مقالات سينوت حنا "الوطنية ديننا والإستقلال حياتنا"، شددت هجومها على الإحتلال والوزارة واللجنة. فأمرت "السلطة العسكرية" يوم ٢ ديسمبر ١٩١٩، بتعطيل "زعيمة الصحف الزغلولية"، وتحديد إقامة سينوت حنا فى قريته "الفشن". واعتقلت كتابا آخرين.

ثم غيرت السلطات البريطانية سياستها تجاه الصحافة المصرية، إستجابة لرغبة لجنة "ملنر" فى التعرف على الآراء المتنوعة. ففى يوم وصول اللجنة، ٧ ديسمبر ١٩١٩، صرحت "للمحروسة" بالعودة للظهور. وفى اليوم التالى صرحت "للأفكار" بالعودة للصدور. فانضمت الصحيفتان للصحف المعارضة للجنة البريطانية. وساندت جهود "الوفد المصرى" و"الحزب الوطنى" و"الحزب الديمقراطى المصرى"، ضد الإحتلال ولجنته.

تقارب اللجنة والوفد

ثم برز دور رجال السياسة "المعتدلين"، وبدأ التقارب بين الوفد ولجنة "ملنر"، فباركته صحف: "المقطم"، "الوطن"، "الأمة" و"الأهرام". بينما كرست "الأخبار" و"النظام" صفحاتهما لمعارضة اللجنة.

ولما أصدرت اللجنة، فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٩، بيانا تتقرب به للرأى العام المصرى، أطلقت "السلطة العسكرية" سراح المعتقلين. وصرحت "لمصر" المعطلة بالعودة للصدور، فاستأنفت إعتراضها على الحماية واللجنة وتقييد الصحافة.

واستثمر الوفد التقارب بينه وبين اللجنة، ليبلغها بأن طريق التفاوض بينهما يجب أن يبدأ بإطلاق الحريات خاصة حرية الصحافة، بعد الإعتراف بالإستقلال التام أساسا للمفاوضات.

سفر اللجنة وفرض الرقابة

ولكن "السلطة العسكرية" عطلت صحيفتى "الأفكار" و"مصر" من يوم ٢٢ فبراير ١٩٢٠. وأعيد فرض الرقابة



مشروع بنك مصر

نشرت "اللطائف المصورة" في ٧ يونية ١٩٢٠، هذا الرسم الرمزى للفنان محمد حمدى، تعضيدا لتنفيذ مشروع بنك مصر، إحدى ثمرات ثورة ١٩١٩.

التحفظيـــة علـــى الصحافـــة، إبتـــداء مــــن ٦ مــــارس ١٩٢٠. فـاحتجت الصحـف، وأضربـت عـن الصـدور ثلاثـة أيـام. واندلعـت المظـاهرات الجماهيريـة إعتراضـا علـى إعـادة الرقابـة، والحـذف مـن مـواد الصحـف.

ومـع إعـادة الرقابـة، إنتهـت مهمـة لجنـة "ملـنر" فـى مصـر، وغادرتهـا بعـد نجـاح الصحافـة الوطنيـة فـى قيـادة حركـة مقاطعتهـا شعبيا، ولكنهـا تمكنـت مـن جمـع البيانـات ومقابلـة بعـض رجـال السياسة وقـادة الـرأى.

الجمعية والبنك

وفـى هـذه الفـترة لعبـت الصحافـة المصريـة دورا واضحـا فـى عقـد "الجمعيـة التشـريعية" الموقوفـة، يـوم ٩ مـارس ١٩٢٠. كمـا أدت دورا إيجابيـا كبـيرا فـى تأسيس "بنـك مصـر" فـى أبريـل ١٩٢٠، كخطـوة علـى طريـق الإسـتقلال الإقتصـادى(٣٣) .

مفاوضات سعد – ملنر

إتجهـت بريطانيـا ومصـر إلى التفـاوض، بعـد مقاطعـة



الوفد المصرى فى لندن

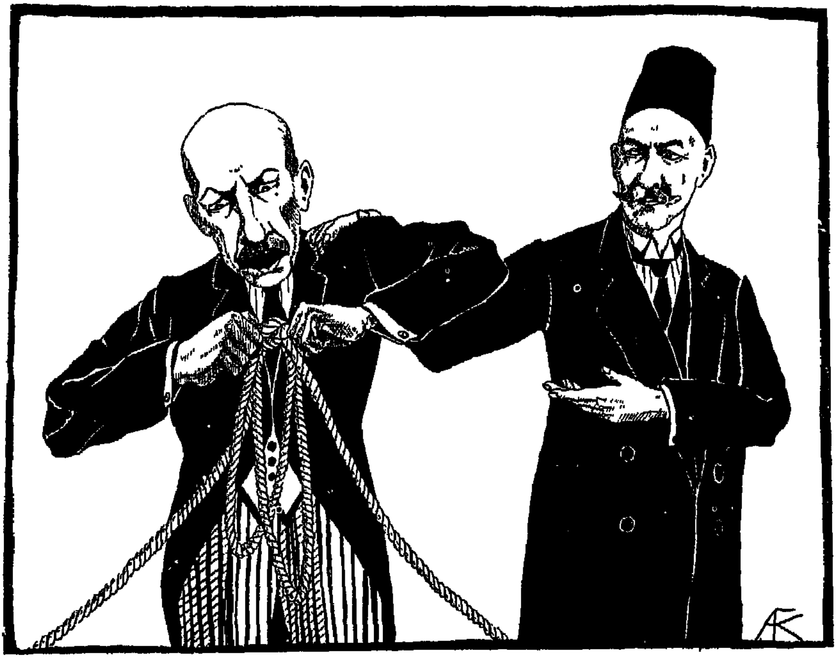
سعد زغلول رئيس الوفد، يحيط به أبرز أعضائه، عند وصولهم إلى لندن يوم ٥ يونية ١٩٢٠، للتفاوض مع لجنة "ملنر".

المصريين اللجنة البريطانية، ونجاح بريطانيا فى حصر القضية بينها وبين مصر. وسافر محمود عزمى مع عدلى يكن إلى باريس فى أبريل ١٩٢٠، ليوافى "الأهرام" بأنباء الوفد، ويقدم الكثير من الخدمات الإعلامية لعدلى والوفد.

وأيدت أكثر الصحف "الوفد": فصحف "الوفد" و"الحزب الوطنى" ساندته لتمسكه بالإستقلال التام، بينما عضدته صحف الإحتلال لاتجاهه إلى التفاوض مع بريطانيا. ورأت "الوطن" فى هذا التطور نجاحا لسياستها.

وتدريجيا، تمكنت صحف "الوفد" من تحويل الرأى العام المصرى إلى قبول حصر قضيته بين مصر وبريطانيا، وترك الحرية للوفد لاختيار وسائله فى العمل. وعضدت الصحف المصرية مساعى الوفد لتهيئة الرأى العام البريطانى للتعاطف مع المطالب المصرية فى أثناء المفاوضات.

وفى هذه الفترة، إزدادت حوادث العنف السياسى ضد البريطانيين، والمصريين المتعاونين معهم. ونجحت ضغوط الصحافة



بين سعد وملنر

نشرت "اللطائف المصورة" فى ١٩ يولية ١٩٢٠، هذا الرسم الذى يمثل اللورد ملنر وهو يحاول فك عقدة المسألة المصرية، وسعد زغلول يخاطبه قائلا: إن العقدة قديمة وصعبة، ولا تحل إلا بمنح مصر الإستقلال.

الوطنية فى دفع يوسف وهبه إلى تقديم استقالة وزارته، يوم ١٩ مـايو ١٩٢٠.

الخلاف حول مشروع "ملنر"

وعنيت الصحف المصرية الكبرى، بالتعرف على آراء كبار رجال السياسة والحكم، فى مشروع الإتفاق الذى قدمه "اللورد ملنر" للوفد، واستشارة الأمة المصرية فيه. وكشفت أكثر الصحف المصرية عيوب المشروع، وجعلت الرأى السائد هو قبول المشروع بعد تعديله بعدة تحفظات، أولها إلغاء الحماية وكل نص يقيد إستقلال مصر.

ثم وقع الخلاف بين سعد زغلول و عدلى يكن حول مشروع "ملنر". وانقسم أعضاء الوفد بينهما. تمسك فريق سعد بتحفظات الأمة المصرية، وتعديل مشروع "ملنر"، بينما رأى فريق عدلى إمكان قبول المشروع دونها. وقدم الوفد تحفظات الأمة إلى "ملنر". وانتهت المفاوضات يوم ٩ نوفمبر ١٩٢٠. وصاحب الإنقسام بين سعد وعدلى، مناقشة حامية بين الصحف المصرية.

ودب خلاف آخر بين سعد زغلول، وأعضاء الوفد

"المعتدلين"، حول تشدده، والأحاديث التى يدلى بها إلى الصحف. وأدى إلى عودة بعض الأعضاء إلى مصر. وأثار تعليقات الصحف المصرية.

ولما نشر تقرير لجنة "ملنر"، فى ٢٠ فبراير ١٩٢١، وانتهى إلى أن تعترف بريطانيا باستقلال مصر مقيدا بضمانات للمصالح البريطانية، إنقسمت الصحف تجاهه إلى فريقين: الأول، وافق على كافة بنوده، وضم "المقطم" و"الوطن". والثانى، ناقشه وفنده، وتألف من صحف "الوفد المصرى" و"الحزب الوطنى" و"الحزب الديمقراطى" و"الحزب المستقل الحر" وصحيفة "الأهالى" المعبرة عن محمد سعيد، و"الأهرام".

إضطهاد الصحافة والقادة

وفى أثناء المفاوضات بين سعد و"ملنر"، إستخدمت السلطات البريطانية العنف ضد الصحافة غير الملتزمة بأوامر الرقابة، وضد قادة العمل الوطنى. فعطلت "الأهالى" أسبوعا من ٢٢ يونية ١٩٢٠. وفى أول يولية، ألقت القبض على عبد الرحمن فهمى وتسعة وعشرين شخصا، بينهم عبد الحليم الغمراوى المحرر فى "النظام"،

وقرياقص ميخائيل. وفى أثناء محاكمتهم عطلت "النظـام" خمسة أيـام مـن ١٥ أغسـطس ١٩٢٠، واعتقـل صحفيـون آخـرون. وانتهـت المحاكمة فى ١٥ أكتوبر ١٩٢٠، إلى إدانة عبد الرحمن فهمـى وبعـض المتهمين، وتبرئة الصحفيين المتهمـين. وفـى ٥ سبتمبر ١٩٢٠، صـدر الحكم بسجن راغب حسن صاحب صحيفة "الواعظ"، ومحمـد سـعد صاحب مطبعة "الواعظ"، لنشرهما "أوراقا ثورية مهيجة"(٣٤).

المفاوضات الرسمية

وفى يومـى ٤ و ٥ مـارس ١٩٢١، نشـرت كافـة الصحـف المصريـة بالـترحيب "تبليـغ" الحكومـة البريطانيـة للسـلطان فـؤاد، بـأن "الحماية" صارت "علاقة غير مرضية"، وبأنها ترغب فـى تبـادل الآراء مع وفد رسمى يعينه السلطان. وحرصا من الرقابة الصحفية على نجـاح الإتجاه إلى المفاوضات الرسمية، منعـت نشـر تصريـح سـعد زغلـول أن الوفد لن يعضد التفاوض على أساس مشروع لجنة "ملنر"، ما لم يعدل بالتحفظات التى قدمها الوفد عليه.

شروط سعد

وألف عدلى يكن "وزارة الثقة" يوم ١٧ مارس ١٩٢١. ودعا

الوفد للإشتراك معه فى المفاوضات. ووعد بتحضير مشروع الدستور، وانتخاب "الجمعية الوطنية"، وإلغاء الأحكام العسكرية والرقابة الصحفية. وأشادت صحف كثيرة منها "المقطم" و"المحروسة" بمواقف عدلى. أما سعد زغلول فقد بلور شروطه للإشتراك فى المفاوضات، فى أن تلغى الأحكام العرفية والرقابة الصحفية، وأن يترأس هو الجانب المصرى، وأن تكون الأغلبية فيه للوفد. ولكن الرقابة منعت نشر شروط سعد.

ولما عاد الوفد إلى الوطن يوم ٤ أبريل ١٩٢١، رحبت به كافة الصحف المؤيدة والمعارضة له. وعمدت الرقابة إلى السماح للصحف المصرية بنقل أقوال الصحف البريطانية المعادية للأمانى المصرية، بينما منعت ترجمة كتابات الصحف البريطانية المؤيدة للقضية المصرية.

وبدأت الإتصالات بين الوفد والوزارة، وسط سيل من الكتابات الصحفية الداعية إلى اتحاد الصفوف. وأدت أقوال سعد إلى زيادة تقاربه مع عبد القادر حمزة صاحب "الأهالى"، بعد وضوح عدم رضا سعد عن مشروع "ملنر". ولكنها أحدثت خلافا بين سعد

وأمين الرافعى، بسبب عدم تمسك سعد بإعلان بريطانيا قبول التحفظات قبل بدء المفاوضات. واندلعت معركة بين "النظام" و"الأخبار" . واشتدت إلى حد استخدام الوفد وسائل العنف ضد الرافعى وصحيفته(٣٥).

الخلاف بين سعد وعدلى

ثم اختلف سعد مع عدلى حول شروط الوفد للإشتراك فى المفاوضات، وصار الخلاف علنيا بعد الحديث الذى أدلى به سعد لداود بركات، ونشرته "الأهرام" فى ٢٣ أبريل ١٩٢١، وأعلن فيه خلافه مع الوزارة. ونشرت "الأهرام" رد عدلى فى حديثها معه فى ٢٥ أبريل. وانقسم أعضاء الوفد بين سعد المتمسك بشروطه، وعدلى غير الموافق على أكثرها. وتعددت بيانات الطرفين على صفحات الصحف، التى انقسمت إلى ثلاثة أقسام: الأول، يؤيد سعدا وتتزعمه "النظام" و"مصر". والثانى، يؤيد عدلى، وتتقدمه "الوطن" و"المنبر". أما الفريق الثالث، فآثر الحياد رغبة فى التأليف بين الطرفين، كما فعلت "الأهرام"، أو رفضا لأساس المفاوضات،كما قالت "الأخبار"، أو أملا فى إقناع الحكومة البريطانية بتعديل أساس المفاوضات، الذى

نادت به "الأهالى". ولما اندلعت المظاهرات ضد عدلى وأعضاء الوفد المنشقين، واصطدمت بالبوليس، أدانت كافة الصحف العنف من الجانبين. واستشعرت الخطر من استمرار الإنقسام، فدعت إلى نبذ الخلاف، ونادى بعضها بتأليف "الجمعية الوطنية".

إلغاء الرقابة

وتعقبت وزارة عدلى يكن خطب وبيانات الوفد فى الصحف المصرية بالمنع والحذف، مما زعزع ثقة الناس فيما أعلنته الوزارة من أهداف ديمقراطية. ودفع الصحف إلى الإلحاح لإلغاء الرقابة على الصحافة. وهو ما حدث بالفعل يوم ١٥ مايو ١٩٢١. ولكن الصحف المعارضة للوزارة، أبدت عدم ارتياحها لإلغاء الرقابة السابقة للنشر وحدها، بسبب بقاء الأحكام العرفية وقانون المطبوعات والرقابة اللاحقة بالنشر. ولهذا طالبت "النظام"، "الأخبار"، "وادى النيل" و"الأمة"، بإلغاء كافة القيود الإستثنائية.

وعلى أثر إلغاء الرقابة السابقة للنشر فى ١٥ مايو ١٩٢١، من ناحية، وتأليف الوفد الرسمى بعد أربعة أيام، من ناحية ثانية، إشتدت معارضة صحف "الوفد" و"الحزب الوطنى" لوزارة عدلى.

واندلعت المظاهرات ضدهـا. واشتبكت فـى الإسكندرية مـع بعض الأجـانب. فتدخـل البوليس والجيـش، ووقـع الكثـير من الضحايـا. وأخذت الصحف المؤيدة للـوزارة تتزعمهـا "الوطـن"، تنشـر مقـالات وعرائض الثقة فى الوزارة، ودخلت فى معركـة مـع صحـف "الوفـد" و"الحزب الوطنى"(٣٦).

مفاوضات عدلى - كيرزون

ورافق الوفد الرسمى إلى أوربا فـى أول يوليـة ١٩٢١، محمـود عزمى صـاحب و رئيس "الإستقلال". فتولاهـا طـه حسين، تاركـا "مصر" التى كان يرأسها منذ مـايو ١٩٢١. وتـولى موافـاة "الأهـرام" بأنباء المفاوضات توفيق حبيب وجبرائيل تقلا.

وتمكنـت الصحـف المصريـة مـن متابعـة مفاوضـات عـدلى- كيرزون، وتقييم موقف الجانبين فيها، رغم السرية التى فرضت عليها.

وبينما كان الوفد الرسمى يعانى من تشدد الجـانب البريطـانى، كان سعد زغلول فـى مصـر يقـود رجـال الوفـد وصحفـه فـى حملـة شديدة على الوزارة وصحفها، خشية أن يبرم الوفد الرسمى إتفاقـا مـع بريطانيا، يقيد مصر بقيود شديدة. وهاجم سعد زغلول كل الصحـف

واندلعت المظاهرات ضدهـا. واشتبكت فـى الإسـكندرية مـع بعـض الأجـانب. فتدخـل البوليـس والجيـش، ووقـع الكثـير مـن الضحايـا. وأخذت الصحف المؤيدة للوزارة تتزعمهـا "الوطـن"، تنشـر مقـالات وعرائض الثقة فى الوزارة، ودخلت فى معركـة مـع صحـف "الوفـد" و"الحزب الوطنى"(٣٦).

مفاوضات عدلى – كيرزون

ورافق الوفد الرسمى إلى أوربا فـى أول يوليـة ١٩٢١، محمـود عزمى صـاحب و رئيـس "الإستقلال". فتولاهـا طـه حسـين، تاركـا "مصر" التى كان يرأسها منذ مـايو ١٩٢١. وتـولى موافـاة "الأهـرام" بأنباء المفاوضات توفيق حبيب وحبرائيل تقلا.

وتمكنـت الصحـف المصريـة مـن متابعـة مفاوضـات عـدلى– كيرزون، وتقييم موقف الجانبين فيها، رغم السرية التى فرضت عليها.

وبينما كان الوفد الرسمى يعانى من تشدد الجـانب البريطـانى، كان سعد زغلول فـى مصـر يقـود رجـال الوفـد وصحفـه فـى حملـة شديدة على الوزارة وصحفها، خشية أن يبرم الوفد الرسمى إتفاقـا مـع بريطانيا، يقيد مصر بقيود شديدة. وهاجم سعد زغلول كل الصحـف



الأهرام

AL-AHRAM

عدد خاص

الوثائق الرسمية للمفاوضات بين الوفد المصري الرسمي والوزارة الانكليزية

فليحي الوطن ✻ فلتحي مصر حرة ✻ فليحي الاستقلال

ترجمة مذكرة

نصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أصدرت "الأهرام" عددا خاصا فى يوم عطلتها الأسبوعية: الأحد، ٤ ديسمبر ١٩٢١، لتنشر الوثائق الرسمية للمفاوضات بين عدلى وكيرزون، تحت عنوان كبير ممتد بعرض الصفحة الأولى.

قناة السويس. وأيدت "الوطن"، "الكشكول المصور"، "الأهرام"، و"الإستقلال" موقف عدلى يكن. وحملت أكثرها الوفد مسئولية فشل المفاوضات. أما الصحف المعارضة للوزارة ومنها "المنبر" و"الأخبار"، فقد رحبت بقطع المفاوضات، وأرجعت الفضل فيه إلى الوفد، واستمرت فى معاداتها للوزارة.

ولما أبلغ المندوب السامى السلطان بالسياسة البريطانية، يوم ٣ ديسمبر ١٩٢١، وأذاع وثائق المفاوضات فى اليوم التالى، تسابقت الصحف على نشرها، وأعلنت أكثر الصحف المصرية معارضتها لأسس السياسة البريطانية.

وعاد عدلى يكن إلى مصر، وقدم يوم ٨ ديسمبر ١٩٢١ إستقالة وزارته، لفشلها فى تحقيق برنامجها فى المفاوضات. وعضدت عدلى فى استقالته أكثر الصحف، لكن لأسباب متباينة(٣٨) .

(٤)

إنتصار الثورة .. وتحقيق أهدافها

بعد فشل المفاوضات الرسمية بين مصر وبريطانيا، وإذاعة التبليغ البريطاني للسلطان فؤاد، وتقديم وزارة عدلى يكن إستقالتها، ووقوف المصريين -"معتدلين" و"متطرفين"- ضد السياسة البريطانية، إتجهت الحكومة البريطانية إلى استرضاء "المعتدلين"، والإعتماد عليهم فى تأليف وزارة مصرية تخلف وزارة عدلى يكن - إذا أصرت على الإستقالة - وتسيّر الأمور فى مصر بما يحقق أهداف السياسة البريطانية.

وقررت الحكومة البريطانية ضرورة إزالة العقبات والصعوبات من طريق "المعتدلين" المصريين ووزارتهم، بوقف المعارضة القوية التى قادها سعد زغلول والصحف المؤيدة له، ضد السياسة البريطانية والمصريين المسايرين لها، وتنفيذ أسس مشروع "كيرزون" من جانب واحد. وبدأت الحكومة البريطانية تنفيذ سياستها بمحاولة استبقاء

وزارة عدلى يكن، وبعرض تأليف الوزارة الجديدة على عبد الخالق ثروت، وزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء فى وزارة عدلى يكن المستقيلة.

ولكن سعد زغلول وأعضاء الوفد المنفصلين، تصدوا للسياسة البريطانية، ونشروا فى الصحف فى يومى ٧ و ٩ ديسمبر ١٩٢١، بيانين يعارضون فيهما أسس التبليغ البريطانى، ويناشدون كل مرشح للوزارة أن يرفضها، حتى "نترك الإنجليز يخنقون حريتنا بغير واسطتنا، ومن غير أن نقدم لهم الحبال التى يخنقوننا بها"(٣٩) .

الصحافة تواجه الخطة البريطانية

و لم تكن الخطة السياسية البريطانية خافية عن الصحافة المصرية، خاصة بعد أن أذاعت السلطات البريطانية والمصرية، وثائق المفاوضات بين عدلى و "كيرزون"، والتبليغ البريطانى للسلطان المصرى. وأخذت الصحف البريطانية وثيقة الصلة بالحكومة البريطانية، تتناول هذه الوثائق بالشرح والتعليق، بما يكشف المزيد من النوايا والإتجاهات البريطانية. وعنيت الصحف المصرية بمتابعة كتابات الصحف البريطانية، والإفادة منها فى فضح الخطط البريطانية

ومعارضتها.

وانقسمت آراء الصحف تجاه تأليف الوزارة المصرية إلى فريقين: الأول تمثله "المنبر" السعدية و"الإستقلال" العدلية. وهو يستنكر قبول أى مصرى تأليف الوزارة، ويعتبره إشتراكا مع سلطة الإحتلال ومعاونة لها على تنفيذ سياستها. أما الفريق الثانى، فهو يحبذ تأليف الوزارة، لمواجهة البلاغات والإجراءات البريطانية، ومساندة السلطان، والسير فى طريق تحقيق المطالب المصرية. وتعبر عنه "الوطن"، "الأهرام" و"المقطم".

إعتقال الزعماء ونفيهم

ولإسكات المعارضة التى قادها الوفد وصحفه، حرمت "السلطة البريطانية" على القادة الوطنيين ممارسة العمل السياسى. واعتقلت يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٢١، سعد زغلول ومعه بعض قادة الوفد، ونفتهم إلى عدن. فاحتجت كافة الهيئات واندلعت المظاهرات..

واتخذت أكثر الصحف موقف التأييد الصريح للقادة. وكان

فى مقدمتها صحيفتا الوفد: "النظام" و"وادى النيل". وصحيفة "الحزب الوطنى": "الأفكار". والصحيفتان المعتدلتان: "المحروسة" و"اللطائف المصورة". وأيدت سعد زغلول بعد أن كانت تعارضه، صحف: "الأخبار"، "الإستقلال"، "الأهرام" و"الكشكول المصور". أما الصحيفتان المحبذتان للسياسة البريطانية: "الوطن" و"المقطم"، فدعتا إلى الهدوء والتعقل، لتتحاشيا إتخاذ المواقف الصريحة.

وأخذت كافة الصحف تدعو إلى الإتحاد وتأليف "المؤتمر الوطنى". ولما اشتدت بعض الصحف فى فضح دولة الإحتلال والمتعاونين معها، واجهتها السلطات البريطانية بالعنف. فعطلت "الإستقلال" فى يومي ٢٨ و ٢٩ ديسمبر ١٩٢١. وأوقفت "المنبر" يوم ٣ يناير ١٩٢٢، كما أوقفت "المحروسة" يوم ١٩ فبراير ١٩٢٢، لأجل غير محدود(٤٠).

الشروط البريطانية والمصرية

وبعد عدة مشاورات، أصدرت وزارة الخارجية البريطانية، يوم ٣٠ يناير ١٩٢٢،بيانا نشر فى لندن والقاهرة، بأن الحكومة البريطانية مستعدة لأن تطلب من البرلمان البريطانى رفع الحماية،

والإعتراف بمصر دولة ذات سيادة، والموافقة على إنشاء برلمان مصرى. وإعادة وزارة الخارجية المصرية بمجرد الوفاء بالشروط الآتية: أولا، تأمين المواصلات الإمبراطورية. ثانيا، ضمان مصالح الجاليات الأجنبية بمصر. ثالثا، حماية مصر من كل إعتداء أو تدخل أجنبى.

ونشر المندوب السامى بمصر، بيانا فى نفس اليوم، يتضمن نص شروط عبد الخالق ثروت لتأليف الوزارة، ومضمونها: رفض مشروع "كيرزون"، إلغاء الحماية والإعتراف باستقلال مصر، إعادة وزارة الخارجية المصرية، إنشاء برلمان من مجلسين: نواب وشيوخ، تُسأل الحكومة أمامه، إطلاق يد الحكومة فى أعمالها، تقييد وظائف وسلطات المستشارين البريطانيين لدى مصر، إستبدال الموظفين المصريين بالأجانب، رفع الأحكام العرفية وسحب إجراءاتها بما فيها الإفراج عن المعتقلين وإعادة المبعدين، وإجراء المفاوضات بواسطة هيئة يعتمدها البرلمان، على أن يثبت قبول هذه الشروط فى وثائق حكومية بريطانية. وأعلن البيان البريطاني إستدعاء "اللورد أللنبى" ليقدم للحكومة البريطانية معلوماته ورأيه عن الحالة فى مصر، قبل أن تتقدم الحكومة للبرلمان بمشروعها لتسوية المسألة المصرية.

وحبذت شروط ثروت صحف: "الوطن"، "الأهرام" و"اللطائف المصورة". وعارضتها صحف: "الأخبار"، "النظام"، وكذلك "المحروسة" المؤيدة للوفد منذ ١٤ يناير ١٩٢٢. أما "المقطم" فنشرت الآراء الموافقة والمعارضة معا، تحاشيا لغضب الجماهير المعارضة لعبد الخالق ثروت. وتابعت الصحف المصرية خاصة "المقطم" و"الأهرام"، أقوال الصحف البريطانية بالتأييد أو المعارضة(٤١).

تصريح ٢٨ فبراير

إقتنع رجال الحكومة البريطانية بأن شروط عبد الخالق ثروت لتأليف الوزارة، هى أقل ترضية تقدمها بريطانيا للأمة المصرية فى ثورتها على الحماية والإحتلال. وانتهى رأيهم إلى قبولها وإصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، فى ظل ملاحقة سلطات الإحتلال لقادة الحركة الوطنية وصحفها بالنفى والإعتقال والتعطيل والمصادرة، من ناحية، وفى ظل تهديد الثورة المصرية إيجابا وسلبا للأهداف والمصالح البريطانية السياسية والعسكرية والإقتصادية، من ناحية ثانية.

وعاد "اللورد أللنبى" من لندن إلى القاهرة، يوم ٢٨ فبراير

١٩٢٢، ليرفع إلى السلطان فؤاد نص التصريح ومذكرته التفسيرية. وينص التصريح على أن الحكومة البريطانية "ترغب فى الحال فى الإعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة". و"تعلن المبادىء الآتية: (١) إنتهت الحماية البريطانية على مصر، وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة. (٢) حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (إقرار الإجراءات التى اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ الفعل على جميع ساكنى مصر، تلغى الأحكام العرفية التى أعلنت فى ٢ نوفمبر ١٩١٤. (٣) إلى أن يحين الوقت الذى يتسنى فيه إبرام إتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية، فيما يتعلق بالأمور الآتى بيانها، وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين، تحتفظ حكومة جلالة الملك - بصورة مطلقة - بتولى هذه الأمور، وهى: (أ) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية فى مصر. (ب) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبى بالذات أو بالواسطة. (جـ) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات. (د) السودان. وحتى تبرم هذه الإتفاقات، تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ما هى عليه الآن".

وأسرعت بعض الصحف اليومية، إلى نشر نص التصريح فى

ملحق من ورقة واحدة، مرفقة بأعدادها الصادرة يوم أول مارس ١٩٢٢. وأعادت هذه الصحف - ومنها "مصر" بالقاهرة، و"وادى النيل" بالإسكندرية - نشر التصريح كاملا على صفحاتها الأولى فى اليوم التالى. وأبدى "الوفد" و"الحزب الوطنى" معارضتهما للتصريح البريطانى.

وتباينت مواقف الصحف المصرية تجاه تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢. فقد تشككت فى الهدف منه، وفندت بنوده ورفضته، الصحف الوفدية: "النظام"، "وادى النيل" و"مصر". والصحيفتان القائمتان على مبادىء "الحزب الوطنى" والمؤيدتان "للوفد": "الأخبار" و"الأمة". ونظرت إليه فى اعتدال وشبه حياد، بعض الصحف المعتدلة: "الأهرام" و"الإستقلال"، أو المساندة للإحتلال "كالمقطم". وحبذت التصريح صحيفة "الوطن" المعضدة للإحتلال، وبعض الصحف المعتدلة "كالكشكول المصور"، "اللطائف المصورة" والبصير".

ثروت والصحافة

وشكل عبد الخالق ثروت الوزارة فى أول مارس

١٩٢٢، واعدا بالدستور والإنتخابات والمفاوضات، وبإلغاء الأحكام العرفية، ولكن الرأى العام قابل الوزارة بعدم الإرتياح.

وتعددت حوادث الإغتيال السياسى للبريطانيين، التى تابعتها الصحف بحرص شديد، خشية الرقابة وعقوباتها القاسية.

وقد عضدت "الأهرام" و"البصير" وزارة ثروت، بينما عارضتها "الأخبار"، "الأفكار" و"اللطائف المصورة". ووقفت "المقطم" على الحياد. ودعت الصحف كلها الوزارة، إلى السعى لإطلاق سراح المعتقلين، خاصة سعد زغلول وزملاءه. وطلبت نقابة الصحافة المصرية من رئيس الوزراء إلغاء القيود الصحفية، والسماح للصحف المعطلة بالصدور، ولكنه لم يسمح بذلك إلا للصحف التى تتم فترة تعطيلها المحكوم عليها بها، "كاللواء المصرى" التى عادت فى ٢٣ مارس ١٩٢٢(٤٢).

إعلان الإستقلال

وأعلن السلطان فؤاد إستقلال مصر، يوم ١٥ مارس ١٩٢٢، متخذا لنفسه لقب "ملك مصر". فأصدرت بعض الصحف أعدادا

خاصة، نشرت بها أنباء ووثائق الإستقلال، وأبرزتها بالعناوين والصور والزخارف.

ورأت صحف "الوفد" و"الحزب الوطنى" وهى: "مصر"، "النظام"، "الأخبار" و"الأمة"، أن هذا الإستقلال لفظى فحسب، ولا ينطبق على واقع الإحتلال. أما الصحف المعتدلة: "الأهرام"، "الإستقلال" و"اللطائف المصورة"، فاعتبرته خطوة للأمام. بينما أشادت به صحيفتا الإحتلال: "الوطن" و"المقطم"، واعتبرتاه أمرا واقعا.

صحافة الوفد

وتحت تأثير حوادث الثورة المتتالية وتطوراتها المتعددة، إستشعرت القوى السياسية المختلفة الحاجة الشديدة إلى الصحف التى تنشر مبادئها وأفكارها، وتعبر عن آرائها ومواقفها تجاه الثورة والإحتلال، وتكون سلاحها الفعال فى صراعها مع القوى المضادة لها. فحرصت كل قوة سياسية على أن توفر لنفسها الصحف التى تعبر عنها، بعدة وسائل هى: إصدار الصحف الجديدة، واستئجار بعض الصحف القائمة من أصحاب امتيازها، وتجنيد بعض الصحف القائمة

لخدمتها فى مقابل دعمها ماديا وأدبيا.

وفيما يتعلق بالوفد، فقد كانت أكثر الصحف المصرية تؤيده فى أكثر مراحل الثورة، بصفته التجمع الوطنى الذى يمثل الأمة المصرية ويسعى للحصول على مطالبها وتحقيق أمانيها.

ومع أن الوفد كان أكبر القوى السياسية الوطنية، فإنه لم يتمكن من إصدار صحيفة رسمية له طوال فترة الثورة، رغم محاولته ذلك عدة مرات فور تأليفه فى سنة ١٩١٨، وفى عهد وزارة عدلى يكن سنة ١٩٢١. فلجأ الوفد إلى الوسائل الأخرى لتوجيه الصحف أو السيطرة عليها.

وفى شهرى يولية وأغسطس ١٩١٩، أفاد الوفد من إلغاء الرقابة التحفظية على الصحافة وتوفر ورق الطباعة، ونجح فى ضمم ثلاث صحف إليه، بدعمها ماديا وسياسيا، وهى صحيفة "مصر" التى كان يصدرها تادرس شنوده المنقبادى، و"وادى النيل" التى كان يصدرها محمد الكلزة (شركة وادى النيل)، و"النظام" التى كان يصدرها محمد مسعود منذ يناير ١٩٠٨، ولما اشتراها سيد على

وأصدرها إبتداء من ٢٩ يولية ١٩١٩، صارت أكثر الصحف تعبيرا عن الوفد طوال فترة الثورة. وانتقلت "الأفكار" من معسكر "الحزب الوطنى" إلى "الوفد"، مع استمرار إمتلاك أبو العينين بدر لها، عندما ترأس تحريرها محمود أبو الفتح من ٨ ديسمبر ١٩١٩، وظلت مؤيدة للوفد حتى ١٥ مايو ١٩٢١، رغم تغير رؤساء تحريرها. وصارت "الأخبار" من أقوى ألسنة الوفد عندما اشتراها أمين الرافعى عضو اللجنة المركزية للوفد، من صاحبها يوسف الخازن، الذى كان يصدرها منذ سنة ١٨٩٦، وأصدرها الرافعى من ٢٢ فبراير ١٩٢٠. ولكنها تحولت من التأييد الكامل للوفد إلى معارضته، خلال سنة ١٩٢١، مع نشوب وتصاعد الخلاف بين أمين الرافعى وسعد زغلول حول أساس الاتفاق بين مصر وبريطانيا. وعادت "الأخبار" لتأييد الوفد عند اعتقال قادته ونفيهم للمرة الثانية فى ديسمبر ١٩٢١. وأيدت "المحروسة" التى كان يصدرها إلياس زيادة، الوفد من ٥ مايو ١٩٢١ حتى منتصف يولية ١٩٢١، عندما رأسها يوسف كمال حتاتة. ونجح الوفد فى ضم "الأهالى" إليه، بعد التقارب بين سعد زغلول وصاحبها عبد القادر حمزة (شركة النشر الأهلية). ونقلها إلى القاهرة فى ١٤ سبتمبر ١٩٢١. واتفق الوفد مع عبد الحميد حمدى

على تجنيد "المنبر" لخدمة الوفد من ٣ سبتمبر ١٩٢١، بعد أن اشتراها عبد الحميد حمدى من صاحبها جورج طنوس. وعادت "المحروسة" إلى الوفد، من ١٤ يناير ١٩٢٢، بعد أن استأجرها عبد القادر حمزة.

وخارج مصر، وثق الوفد علاقته بعدة صحف بدعمها ماديا، وفى مقدمتها "الديلى هيرالد " البريطانية العمالية.

إنجازات الثورة

ومما يجدر ذكره أن صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، وإعلان استقلال مصر، يوم ١٥ مارس ١٩٢٢، وضعا حداً لثورة سنة ١٩١٩. واستمرت الحركة الوطنية بعدهما، معتمدة بصفة أساسية على الأساليب السياسية غير الثورية، فى أكثر الأحيان.

وبمقارنة الحالة فى مصر، قبل اندلاع الثورة وبعدها، يتضح أن الثورة وفقت فى معارضة فرض الحماية البريطانية على مصر، إذ اعترفت الحكومة البريطانية فى فبراير ١٩٢١ أن "الحماية علاقة غير مرضية". ثم أعلنت إلغاءها تماما فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢. كما اعترفت بريطانيا بمصر "دولة مستقلة ذات سيادة".

وكان الإعتراف البريطانى باستقلال مصر، إنجازا سياسيا كبيرا لثورة ١٩١٩. فرغم أنه لم يحقق الجلاء الفورى لقوات الإحتلال من أرض مصر، إلا أنه كان الأساس الذى قام عليه نظام الحكم فيها. فصدر الدستور سنة ١٩٢٣، مقررا سلطة الشعب وحقه الشرعى فى حكم نفسه بنفسه، ومحددا حقوق المصريين وحرياتهم السياسية والشخصية. وبناء عليه تم تأليف المجلس النيابى سنة ١٩٢٤. وألغيت الإمتيازات الأجنبية، وسيطرت الحكومة المصرية على الأجانب فى التشريع والإدارة والأمن العام سنة ١٩٣٧، وفى القضاء سنة ١٩٤٩.

وأطلقت الثورة كافة الطاقات الشعبية، فى جميع المجالات السياسية والإجتماعية والفنية. وقَوَّت الشعور بالإنتماء للوطن، وروح التضحية فى سبيله. وفرخت جيلا من الرواد فى السياسة والصحافة والإقتصاد.

وعضدت روح الثورة، الرغبة فى النهوض والإستقلال الإقتصادى، ممثلة فى دعوة طلعت حرب إلى إنشاء "بنك مصر" فى أغسطس ١٩١٩، حتى تأسس البنك فعلا فى سنة ١٩٢٠(٤٣).



طلعت حرب مؤسس بنك مصر

مصادر ومراجع

الفصــل الأول

(١) رمزى ميخائيل، الصحافة المصرية وثورة ١٩١٩ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣) ص٥٤.

(٢) عبد الرحمن الرافعى، ثورة سنة ١٩١٩: تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١، الطبعة الثانية، الجزء الأول (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥) ص١٠١، ١٠٢؛ عمر طوسون، مذكرة بما صدر عنا منذ فجر الحركة الوطنية المصرية، من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٢٨ (الإسكندرية: مطبعة العدل، ١٩٤٢) ص ٤-٢٧؛ أحمد شفيق، حوليات مصر السياسية، تمهيد، الطبعة الأولى، الجزء الأول (القاهرة: مطبعة شفيق باشا، ١٩٢٦) ص ١٤٤-١٥٢.

(٣) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص٩٢؛ عمر طوسون، مذكرة بما

صدر عنا، ص ٥؛

Zayid, Mahmoud. The Origins of the Liberal Constitutional Party in Egypt, in Holt, P.M. (ed.), Political and Social Change in Modern Egypt (London: Oxford University Press, 1968) p.341.

(٤) لطيفة محمد سالم، مصر فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ص٨١.

(٥) أحمد شفيق، حوليات، تمهيد، جـ١، ص١٣٧ - ١٤٤؛ الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص٩٣-٩٧؛

Lacouture, J.&S., Egypt In Transition, Translated by Francis Scarfe (London: Methuen & Co. LTD, 1958) p.84.

(٦) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص٩٩؛ عبد الخالق لاشين، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ١٩١٤-١٩٢٧، الطبعة الأولى (بيروت: دار العودة، القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٧٥) ص١٤٩؛ محمود أبو الفتح، المسألة المصرية والوفد (القاهرة: دون إسم ناشر، ١٩٢١) ص٤٤.

(٧) لاشين، سعد زغلول، ص١٦٥، ١٦٦.

(٨) المسألة المصرية والوفد، ص١٧٤.

(٩) الرافعي، ثورة ١٩، جـ١، ص١٠٧-١٢٥.

(١٠) أحمد شفيق، حوليات، تمهيد، جـ١، ص١٥٩.

(١١) المسألة المصرية والوفد، ص١٧٤.

(١٢) عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر: أمين الرافعي، في صحف اللواء والشعب والأخبار وغيرها، الطبعة الأولى، الجزء السابع (القاهرة: دار الفكرالعربي،١٩٥٩) ص٢٥٤؛ صبري أبو المجد، أمين الرافعي شهيد الوطنية المصرية، كتاب الهلال، العدد ٣٦٦ (القاهرة: دار الهلال، ١٩٨١) ص٨٥، ١١٥ .

(١٣) الرافعي، ثورة ١٩، جـ١، ص١٣٨-١٤٠.

(١٤) لاشين، سعد زغلول، ص١٧٧،١٧٨؛ مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ١٩٦٩) ص١٦٤،١٦٥.

(١٥) محمد كامل سليم، ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها، كتاب اليوم، العدد ٩٥ (القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٧٥) ص٧٦.

(١٦) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص١٤٤ - ١٤٩؛ عباس محمود العقاد، سعد زغلول: سيرة وتحية (القاهرة: مطبعة حجازى، ١٩٣٦) ص٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠؛ لاشين، سعد زغلول، ص١٨٩.

(١٧) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص١٤٩، ١٥٠، لاشين، سعد زغلول، ص١٩٠،١٩١؛ مكى الطيب شبيكة، بريطانيا وثورة ١٩١٩ المصرية (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦) ص٥٢.

(١٨) رمزى ميخائيل، الصحافة وثورة ١٩، ص٧٤.

(١٩) محمود أبو الفتح، المسألة المصرية، ص١٧٥-١٧٧.

(٢٠) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص١٥٦، ١٦٤، ١٦٥؛ مكى شبيكة، بريطانيا وثورة ١٩، ص١٩، ٢٠؛

Public Record Office, London, F.O. 371/3204; Zayid, M.,op.cit., p.342; Lloyd, Lord, Egypt since Cromer, VOl.1. (London: Macmillan And Co. LTD, 1933), p.296.

(٢١) رمزى ميخائيل، الصحافة وثورة ١٩، ص٧٦، ٧٧.

(٢٢) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص١٦٥؛

Lloyd, op.cit., p.297

(٢٣) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص١٦٦- ١٦٩؛ لاشين، سعد زغلول، ص١٩٨، ١٩٩؛ Lloyd, op. cit., p.297

(٢٤) Lacouture, J. & S. op. cit., p.87.

(٢٥) العقاد، سعد زغلول، ص٢٢٦؛ كامل سليم، ثورة ١٩ كما عشتها، ص١٠٣.

(٢٦) الرافعى، ثورة ١٩، جـ١، ص١٧٠ - ١٧٣؛ أحمد شفيق، حوليات، تمهيد، جـ١، ص٢٤٧-٢٥٢.

(٢٧) رمزى ميخائيل، الصحافة وثورة ١٩١٩، ص١٥٣-١٥٥.

(٢٨) محمد أنيس، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى، الطبعة الأولى، الجزء الأول (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣) ص١٢٩.

(٢٩) أحمد شفيق، حوليات، تمهيد، جـ١، ص٣٥٤؛ محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، الجزء الأول، ١٩١٢-١٩٣٧ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١) ص٩٩؛ الرافعى، ثورة ١٩، جـ٢، ص٨٩؛ عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩١٨ إلى

سـنة ١٩٣٦ (القـــاهرة: دار الكـــاتب العربـــى، ١٩٦٨) ص٢١٦-٢١٨؛

Lacouture, J.& S. op.cit., p.88.

(٣٠) رمزى ميخائيل، الصحافة وثورة ١٩، ص٢٤٤؛ عبد العظيم رمضان، الحركة الوطنية، ص٢٢٠-٢٢٤.

(٣١) رمـزى ميخــائيل، الصحافــة وثــورة ١٩، ص٢٦٠-٢٧٥؛ سينوت حنا، "الوطنية ديننا والإستقلال حياتنا:-٤- المناصب الوزارية سياسـية قبـل كـل شـيء"، "-٥-"مصـير الـوزارة"، مصر، ٢٧ أكتوبر و٣ نوفمبر ١٩١٩؛

F.O. 407/185, Enc. in No. 342;

Ministerial Crisis, Resignation of Prime Minister,

The Egyptian Gazette, Nov. 17, 1919.

(٣٢) العقاد، سعد زغلول، ص٢٨٨؛ ...،"لاتذهبن بكم الشكوك بعيدا، واصبروا، إن الله مع الصـابرين"، الوطـن، ٢١ نوفمـبر ١٩١٩؛ سينوت حنا، "الوطنية ديننا والإستقلال حياتنا -٨- الوزارة الجديدة"، مصر، ٢٣ نوفمبر ١٩١٩.

(٣٣) ...، "بنـك مصـر"، المقطـم، ٦ أبريــل ١٩٢٠؛ ...،"بنــك مصـر"، الأمـة، ٧ أبريــل ١٩٢٠؛ ...، "البنــك الوطنــى"،

الأفكار، ١٢ ديسمبر ١٩١٨؛ مصرى، "الوطنية الصادقة"، الأمة، ٥ مايو ١٩١٩؛ محمود عزمى، "تنفيذ مشروع المصرف الوطنى"، الأفكار، ١١ مايو ١٩١٩؛ ...، "بنك مصر أساس الإستقلال الإقتصادى"، الأخبار، ١٤ أكتوبر ١٩٢٠.

(٣٤) رمزى ميخائيل، الصحافة وثورة ١٩، ص٣٤٤-٣٤٧؛ F.O. 407/187, Enc. in No.44, Note on Egyptian Press by Lieut.-Colonel G.S.Symes (June 14 to 27, 1920)

(٣٥) أمين الرافعى، "نجاح القضية المصرية متوقف على تعديل أساس المفاوضات"، الأخبار، ٢٠ أبريل ١٩٢١؛ ...، "جريدة الأخبار"، الأمة، ١٩ أبريل ١٩٢١؛ ...، "تأييد الرئيس والإحتجاج على جريدة الأخبار"؛ ...، "جريدة الأخبار والرأى العام"، الأخبار، ٢٥ أبريل ١٩٢١؛ أمين الرافعى، "فى سبيل الواجب الوطنى"، الأخبار، ٢٤ أبريل ١٩٢١؛ أمين الرافعى، "حرية الرأى ومستقبل القضية المصرية"، الأخبار، ٢٦ أبريل ١٩٢١.

(٣٦) رمزى ميخائيل، الصحافة وثورة ١٩، ص٤١٠-٤٢٠.

(٣٧) ...،"المسألة المصرية: إعتراض نواب بريطانيين"، المقطم، ٥

أغسطس ١٩٢١؛ ...، "المؤيدون والمعارضون: حول المفاوضات الرسمية"، المحروسة، ١٠ أغسطس ١٩٢١؛ معتزل، "اللجنة البرلمانية -٢-"، الأهرام، ٩ أغسطس ١٩٢١؛ ...، "رئيس الوفد المصرى والنواب البريطانيون"، المقطم، ٩ أغسطس ١٩٢١؛ ...، "قيد جديد للإستقلال التام، وحديث المستر سوان"، الوطن، ٨ أكتوبر ١٩٢١.

(٣٨) ...، "الأزمة الوزارية"، الإستقلال، ١٠ديسمبر ١٩٢١، محمد شاكر، "موقفنا بعد نشر الوثائق الثلاث"، المقطم، ١٣ ديسمبر ١٩٢١.

(٣٩) عبد العظيم رمضان، الحركة الوطنية، ص٣٤٨-٣٥٢؛ يوسف نحاس، صفحة من تاريخ مصر السياسى الحديث: مفاوضات عدلى -كرزن (القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥١) ص١١٣-١١٧؛ عبد الرحمن الرافعى، فى أعقاب الثورة المصرية، الطبعة الثانية، الجزء الأول (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩) ص٢٩؛ عبد العزيز فهمى، "نداء للأمة"، الأخبار، ٩ ديسمبر ١٩٢١.

(٤٠) رمزى ميخائيل، الصحافة وثورة ١٩، ص٤٦٨-٤٨٢.

(٤١) ...، "تحليل شروط ثروت باشا"، الوطن، ٣ فبراير ١٩٢٢؛ محمود عزمى، "موقف اليوم، بعد إذاعة الشروط وإعلان البلاغ"، الأهرام، أول فبراير ١٩٢٢؛ ...، "مطالبنا ومطالبهم -٤- شروط ثروت باشا لتأليف الوزارة"، الأهرام، ٦ فبراير ١٩٢٢،...، "لا ينقصنا إلا شىء واحد لنستقل، هو أن نكون عادلين نحو أنفسنا ونحو غيرنا"، الوطن، ٦ فبراير ١٩٢٢؛ ...، "لا يمثل الأمة إلا العرش"، الوطن، ٤ فبراير ١٩٢٢؛ عباس محمود العقاد، "مطلب واحد يحتاج إلى تفسير"، المحروسة، ٨ فبراير ١٩٢٢؛ ...، "تلغرافات خصوصية للأهرام"، الأهرام، ٢٧ فبراير ١٩٢٢؛ أمين الرافعى، "مهمة اللورد أللنبى والمباحثات الحاضرة فى انجلترا"، الأخبار، ١٧ فبراير ١٩٢٢.

(٤٢) أحمد وفيق، "فى ستة أشهر"، اللواء المصرى، ٢٣ مارس ١٩٢٢، ...، "اللواء الذى لا يتوب"، اللواء المصرى، ٢٥ مارس ١٩٢٢،

...,"The Unrepentent "Lewa"", The Egyptian Gazette, Mar. 24, 1922.

(٤٣) الرافعى، ثورة ١٩، جـ٢، ص٢٤١-٢٦١.

الفصل الثانى

الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩

(١)

قالــــوا

"إن للأقباط ما لنا من الحقوق، وعليهم ما علينا من الواجبـات، على قدم المساواة".

(سعد زغلول - ٢ ديسمبر ١٩١٨)

"إن الإتحاد متين بين الأقباط والمسلمين".

(سعد زغلول - ٢٣ يونية ١٩١٩)

"إن الثـورة لم تقـم تعصبـا لدين، ولكنهـا اشـتعلت حبـا فـى الوطن".

(سعد زغلول - ١٨ فبراير ١٩٢٠)

"فـى وسـط المظـاهرات والهتافـات.. كـانت ترفـرف الأعـلام المصرية وقد رسم فيها الهلال يحتضن الصليب!.. ذلك أن مصر أدركت فى لحظة أن الهلال والصليب ذراعان فى جسـد واحـد

له قلب واحد: "مصر"!!..".

(توفيق الحكيم - عودة الروح)

"إن الوطنية المصرية تنزهت فى الحركة الأخيرة عن الشوائب، فسارع الأقباط إليها وعانقوها جذلين مسرورين".

(صحيفة الوطن - ١٣ مايو ١٩١٩)

"نريد أن نبقى أمة واحدة ممثلة أحسن تمثيل فى برلمانها، يجلس كل منلوب فوق كرسيه ولا يشعر إلا أنه مصرى، فلتكن لإخواننا الأقباط الأغلبية ولتكن للمسلمين الأقلية، وإنما يجب أن توجد المساواة، حتى يكون إحساس كل منهم واحدا، هو أنه مصرى ولا يعمل لغير مصر".

(صحيفة اللواء المصرى-١٥ مايو ١٩٢٢)

"ليس فى البلاد أقلية ولا أكثرية، وانما الجميع مصريون.. إن الأقباط والمسلمين لايدينون إلا بدين واحد هو دين الحرية والإستقلال..".

(الوفد المصرى -١٢ مايو ١٩٢٢)

(٢)

الوحدة هى الأساس

حقيقة هامة تبدو واضحة أمام دارسى تاريخ مصر، هى أن الوحدة بين الأقباط والمسلمين كانت دائما الأساس القوى، والشقاق هو الإستثناء الضعيف.

وثمة حقيقة ثانية لا تقل أهمية عن الحقيقة السالفة، هى أن أعداء مصر ينشطون دائما كلما قويت الحركة الوطنية، لافتعال الفتنة بين الأقباط والمسلمين، أو تغذية أسبابها ودواعيها لدى المتعصبين من الطرفين، الذين يقعون فى شراك السياسة الإستعمارية الرامية إلى تفتيت الجبهة الداخلية، والقضاء على الحركة الوطنية. وليس ظهور النغمة الطائفية فى سنة ١٩٠٨ مع اشتداد حركة المطالبة الوطنية بالدستور، سوى دليل واحد على ذلك.

إلا أن الوحدة الوطنية كانت تخرج من جولاتها مع الإستعمار أشد قوة وتماسكا. يؤكد ذلك أن المنهج الوطنى العلمانى

المتنور، سيطر فى النهاية على ذروة أشد شقاق حدث بين الأقباط والمسلمين فى تاريخ مصر الحديث، وهو الشقاق الذى حدث فى سنتى ١٩١٠ و١٩١١، عند اغتيال بطرس غالى رئيس الوزراء القبطى، وإعدام قاتله الشاب المسلم إبراهيم الوردانى، ثم انعقاد المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى.. فقد تمكن عقلاء الأمة المصرية من المسلمين والأقباط من قيادة المؤتمرين إلى نبذ الفرقة وتأكيد الوحدة بين شقى الأمة.

ولقد تمكنت الوحدة الوطنية من احتواء الخلافات والفتن المصطنعة الطارئة، لأنها تعتمد على دعائم قوية موغلة فى القدم، منها: الحالة المتقدمة من "الإندماج" و"الإنسجام القومى" و"التشابه السكانى" التى تحققت خلال تاريخ مصر الطويل، بفعل العوامل الجغرافية والمؤثرات النفسية، ومن شواهدها أن الأقباط والمسلمين يعيشون مختلطين فى القرى والمدن، وينتمون إلى نفس الطبقات الإجتماعية، ويمارسون ذات الأعمال الإنتاجية، ويتجاورون فى مقاعد الدراسة والوظائف، ويجمعهم كثير من التقاليد والعادات الإجتماعية المشتركة(١). هذا إلى جانب اللغة والثقافة والتاريخ والكفاح المشترك، والمصالح والآمال القومية الواحدة، والإخاء والطيبة وكراهية العنف

المتأصلة في الشخصية المصرية، والتى حالت دون وقـوع فتنـة طائفيـة عنيفة واحدة كالتى حدثت فى الهند أو انجلترا(٢).

وقد اعترف اللورد كرومـر، المعتمـد البريطـانى فـى القـاهرة، بفشل سياسة "فرق تسد" البريطانية في مصر، على الرغـم مـن نجاحـه في تنفيذها قبل ذلك في الهند. واضطر حين تحـدث عـن الأقبـاط فـى كتابه "مصر الحديثة" أن يبرز الوحدة الصلبة التى تضمهم مع إخوتهـم المسلمين المصريين. وسجل أن الأقباط كانوا يواجهون الإنجليز بمشاعر خالية من الصداقة، وأنه لم يجد أى فارق بين سلوك الأقباط والمسلمين في الأمور العامة. وأكد أن الفارق الوحيد بين القبطى والمسلم هـو أن الأول يصلى فى كنيسة والثانى يصلى فى مسجد(٣).

وبهذا اعترف اللورد كرومر بأن المصريين شعب واحـد، وأن إنتماءهم الوطنى موجـه إلى مصـر وحدهـا، على خـلاف مـا حـاول الإقناع به فى نفس الكتاب، من أن سكان مصر ينقسمون إلى عنـاصر وطوائف مختلفـة الصفـات والإنتمـاءات. وأوضـح اللـورد كرومـر أن الإختلاف الوحيد بين الأقباط والمسلمين، هو اختلاف العقيدة الدينية، الذى لم يؤثر إطلاقا على الإنتماء الوطنى والسـلوك السياسـى. والحـق ما شهدت به الأعداء.

(٣)

عوامل الوحدة ودواعيها

ثمة مؤثرات سياسية حديثة ومعاصرة، مهدت وعملت على تعميق الوحدة بين الأقباط والمسلمين إبان ثورة ١٩١٩، يمكن إيجازها فى النقاط التالية:

أولا:

تعرض المسلمون والأقباط فى أثناء الحرب العالمية الأولى لكثير من ألوان الظلم والإستغلال من السلطة البريطانية، فتآلفت مشاعرهم وتهيأت أذهانهم للإتحاد والتضامن فيما بينهم للتخلص من عدوهم المشترك: الإستعمار البريطانى.

ثانيا:

انتهى الدور التاريخى للحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنية، واختفى بعض زعماء الحزب المتعصبين للإسلام، كعبد العزيز جاويش الذى كان يكتب فى صحيفة "اللواء".

وخفتت أصوات المتعصبين من الأقباط، ومنهم: جندى إبراهيم صاحب صحيفة "الوطن"، وفريد كامل أحد كتابها.

وفى نفس الفترة إشتد التيار "الليبرالى" الوطنى، وتغلب على ما عداه، وولدت فى أحضانه ثورة ١٩١٩، التى كان معظم زعمائها من قادة حزب "الأمة" ذوى الإتجاه العلمانى.

وكان لكل ذلك تأثير طيب.ومشجع، فقد زالت العوائق واندمج الأقباط مع المسلمين فى الثورة، ووقف "الحزب الوطنى" -إلى جانب "الوفد"- يدعم الوحدة بين شقى الأمة ويشيد بها.

ثالثا:

كان من دوافع العصبية الدينية عند المتطرفين من الأقباط والمسلمين، نوع من المراهقة السياسية، يتمثل فى اعتقاد كل منهما أن له خارج مصر سند يحميه: المسلمون لهم الدولة العثمانية، والأقباط لهم بريطانيا. ولكن أمل المسلمين فى دولة الخلافة تبدد بعد ازدياد ضعفها وانتهاء تبعية مصر الإسمية لها بإعلان الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤. وخاب أمل الأقباط فى انجلترا بعدما لم يعر

"كتشنر" مطالبهم أى التفات، وفضل عليهم المرتزقة والأروام والمالطيين. فرأى الطرفان أن الخير فى ائتلافهم ووحدتهم فى مواجهة الإستعمار(٤).

وكان سعد زغلول -من قبل اندلاع ثورة ١٩١٩- يرى فى اعتماد مصر على شعبها وحده، الأسلوب الأمثل للحصول على الإستقلال(٥)، ومن هنا كانت الوحدة الوطنية لديه أساسا من أسس العمل السياسى لمحاربة الإحتلال.

رابعا:

بنى الوفد كجبهة وطنية على أساس مصرى وطنى جامع لشقى الأمة، وتألفت قيادته وقاعدته على مبدأ الوطنية دون الدين، وتمتع أعضاؤه بحقوق وواجبات متساوية بحكم قانونه، وفى الممارسة العملية أيضا. وظهرت أسماء الأقباط مختلطة بأسماء المسلمين فى جميع تشكيلات الوفد ولجانه خارج البلاد وداخلها فى العاصمة والأقاليم.

وكان لسعد زغلول مكانة عظيمة لدى الطرفين، واختص هو وقادة الوفد برصيد من الفكر العلمانى الوطنى المتنور، مما مكنهم من

مزج المصريين جميعا فى إطار الوحدة الوطنية العلمانية، وإحباط كل محاولات الإستعمار لبث الفرقة.

خامسا:

كان للأقباط مبادرة للإشتراك فى الوفد عند بدء تشكيله، وللإندماج فى الثورة مع المسلمين، رحبت بها قيادة الثورة والمسلمون، وسعدت بها الصحافة الوطنية، وانزعج منها المستعمر وصحفه، وشهد لأهميتها الجميع.

وقد حرص رجال السياسة والفكر المعاصرون لثورة ١٩١٩، على تسجيل مبادرة الأقباط للإنضمام إلى الوفد. فذكروا أن كبار رجال الأقباط المجتمعين فى (نادى رمسيس) القبطى بالقاهرة، لما لاحظوا أن أسماء أعضاء الوفد، التى ذكرت فى الدفعة الأولى من عرائض التوكيلات التى بدأ توزيعها، ليس بينها إسم واحد من الأقباط، رأوا أن هذا لا ينبغى أن يكون، وأنه لابد من استكمال هذا النقص. فانتدبوا فخرى عبد النور وويصا واصف وتوفيق أندراوس لمقابلة سعد زغلول الذى رحب بهم وبانضمام ممثلى الأقباط إلى الوفد. وتبادلوا من العبارات ما يؤكد الوحدة الوطنية التى شملت

الجميع، فى جو من المودة والمحبة.

فلما قال توفيق أندراوس: "إن الوطنية ليست حكرا على المسلمين وحدهم.." سر سعد زغلول وقبله، فأكد توفيق لسعد أن المسلمين والأقباط يعملون بتفكير واحد ورأى واحد فيما يحقق مصلحتهم فى الحصول على الإستقلال.

واستقر الرأى فى هذه الجلسة على ترشيح واصف بطرس غالى، لعضوية الوفد، وهو ثانى أبناء بطرس غالى، رئيس الوزراء الذى اغتيل سنة ١٩١٠.

ثم رأى الوفد بعد ذلك أن يضم إليه سينوت حنا عضو الجمعية التشريعية، وجورج خياط من كبار أعيان أسيوط، فحلفا اليمين مع حمد الباسل فى جلسة واحدة يوم ٢ من ديسمبر سنة ١٩١٨.

وفى هذه الجلسة سأل جورج خياط، الزعيم سعد زغلول: "ما هو مركز الأقباط وما هو مصيرهم، بعد انضمام ممثليهم إلى الوفد؟". فأجاب سعد بعبارته المشهورة: "إطمئن. إن للأقباط ما لنا



جــورج خيـــاط

إبن واصف خياط من كبـار أعيـان أسـيوط. مـن أوائـل أعضـاء الوفـد الأقبـاط. شـارك فـى كفـاح الوفـد فـى الداخـل والخـارج.

من الحقوق، وعليهم ما علينا من الواجبات على قدم المساواة"(٦).

وتوالى بعد ذلك انضمام الأقباط إلى الوفد، ولكن ليس بصفتهم الطائفية، وإنما على أساس درجة الوطنية والكفاءة لدى كل منهم. فقد كانت الصفة الطائفية لازمة عند بدء تشكيل الوفد فحسب، للرد على ادعاء المستعمر بأن الوفد لا يمثل الشعب المصرى بطوائفه المختلفة. فلما اعترف الإنجليز بتمثيل الوفد لجميع المصريين، توارت الصفة الطائفية لتحل محلها إعتبارات الوطنية والخبرة والكفاءة.

وقد نص قانون الوفد على ذلك فى البند الثامن منه، حيث يقول: "للوفد أن يضم أعضاء آخرين مراعيا فى انتخابهم الفائدة التى تنجم عن اشتراكهم فى العمل"(٧).

ويؤكد عباس محمود العقاد، أن اشتراك الأقباط فى الوفد،كان مبدأ مقررا بين أعضائه المسلمين، منذ بدء التفكير فى تأليفه. وعندما يشرح العقاد، ظروف وأسباب إغفال ذكر

أسماء الأقبــاط فــى الدفعــة الأولى مــن التوكيــلات، يتضــح أنهــا كلها بعيـدة تمامـا عـن النظـرة الطائفيـة أو الدينيـة(٨).

سادسا:

كـان نـداء الثـورة شـديد القـوة، وحـد مشـاعر الأقبـاط والمسـلمين، وأزال آثـار الخلافـات والشـكوك التـى انتـابتهم خـلال سنوات الفتنـة الطائفيـة السـوداء (١٩٠٨-١٩١١)، وأرجـع الذيـن خرجوا عن دائرة الوحدة الوطنية إلى داخل إطارها.

وعلى سبيل المثال، فإن الشيخ عبد العزيز جـاويش، صـاحب الحملة الصحفية الكبيرة ضد الأقباط، وكاتب المقال الشهير "الإسـلام غريب فى بلاده" الذى نشرته صحيفة "اللواء" فى ١٦ من يونيـة سـنة ١٩٠٨، وقف على قـبر الزعيـم محمـد فريـد فـى ألمانيـا يـوم ١٥ مـن نوفمبر سنة ١٩١٩ يؤبنه، ويشير إلى التغير الهائل الـذى أحدثتـه ثـورة ١٩١٩ فى العلاقات القبطية الإسلامية، فيقول:

"أبصر فريد كيف اتحدت كلمة الشعب، وتعاقدت خناصره، إذ ألف الله بين قلوب أحزابه وطوائفه، وأصبحوا بنعمة اللـه إخوانـا،

وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها. أبصر فريد كيف نافس فى سبيل الوطن المفدى أطفال الأمة الشيوخ، ونساؤها الرجال، ومسيحيوها المسلمين، وكيف تعانق الهلال والصليب، والتقى القرآن والإنجيل، وتعانق الشيخ والقسيس".

ومن الناحية الأخرى، فإن جندى إبراهيم، الذى أفسح صدر صحيفته "الوطن" لنشر المقالات المعادية للمسلمين، والذى كان أول من حمل على الشيخ عبد العزيز جاويش فى سنة ١٩٠٨، ورماه بتهمة التعصب الدينى الإسلامى، وكراهية الأقباط.. هزه تيار الوحدة الوطنية الذى اشتد فى أثناء ثورة ١٩١٩ وصحح مفاهيمه، فجاء فى سنة ١٩٢٣ لنصرة غريمه القديم الشيخ عبد العزيز جاويش، عندما رشح الأخير نفسه فى انتخابات أول برلمان مصرى، وأيده بمقال طويل نشرته "الوطن" فى ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٢٣(٩).

وهكذا انقلبت الفتنة إلى وحدة، والعداء إلى محبة.

وقد سجل باحثو تاريخ الأدب، كيف استطاع تيار ثورة ١٩١٩، أن يحول إتجاهات الأدب السياسية إلى الوحدة والوطنية

صور وصفية

لرجال الوفد

-٩-

سينوت حنا بك

لسينوت حنا بك صفتان خصوصيتان في الوفد المصري (احداهما) انه أحد كبار اعيان القبط المشايعين للاشتراك في الوفد (والثانية) أنه عضو معين من قبل الحكومة النيابة في الجمعية التشريعية - ولكل من هاتين الصفتين قيمة راجحة في مهمة الوفد العامة

على أن صفات سينوت بك الشخصية تجعل لاشتراكه في الوفد شأناً آخر غير ماله من الشأن بهاتين الصفتين. لانه مثال حسن للاستقلال الشخصي والثبات على المبدأ بين ابناء الاسر واعيان القطر. وفي معيشته العائلية ومبادئه الوطنية وآرائه الشخصية دليل محسوس على ذلك الاستقلال النظري المغروس في نفسه

فالعارفون بالصعيد يعلمون أن اكثر ابناء الاسر القبطية من اهل اسيوط يعيشون في منازلهم معيشة قريبة من النمط الانجليزي لاعتناقهم المذهب البروتستانتي وتعلمهم في المدارس الامريكية على اساتذة لا يتكلمون الا لغة الانجليز وقد نشأ اخوة سينوت بك نشأة سائر وجهاء القبط في تلك المدارس واستحسنوا عادات اساتذتهم وآدابهم الاجتماعية فاتبعوها في بيوتهم.

أما سينوت بك فقد رأى ابوه أن ينشئه في المدارس العربية فنشأ فيها نشأة اخرى. ولكنه ظل مصريا في عاداته ومعيشته وعقيدته فلا يكاد يختلف في بيته عن بيوت الاسر المصرية الا فيما تستلزمه التربية القرشية والتقيد بالمسيحية

***

وقد كان سينوت بك صديقا حميما لمصطفى كامل باشا منذ نشأته هو واخيه واحد امين له الود في حياته وبعد مماته وكان هو ومرقس بك حنا ومرقس بك فهمي اول الداخلين في الحزب الوطني من متعلمي القبط وذوي الوجاهة فيهم فكان مصطفى كامل باشا يعدهم من أكبر انصاره طول حياته ولما عاجلته المنية رحمه الله وسمع سينوت بك وهو في اسيوط بالعزم على اقامة تمثال له أرسل اشارة برقية الى اللجنة التي اعلنت هذا العزم تبرع فيها بمائة جنيه اسم التمثال فكانت أكبر مبلغ تبرع به المتبرعون لتمثال مصطفى كامل.

واما عند اعضاء الحزب الوطني الذين انضموا الى وفد سعد باشا كان سينوت بك من أقدمهم عهدا بالانتظام في ذلك الحزب ومساعدة مؤسسه والاعجاب به. لانه كان من اعضاء الحزب الوطني قبل ان يعلن تأسيسه واختيار اعضائه

***

هذه هي مبادئ سينوت بك الوطنية أما صفاته الشخصية فمن أحب الصفات في المجتمع صفات تألف النفوس لصاحبها وتدعو الى الارتباط به. واخلاص الود له من اصحابه واخوانه. فهو لوذعي دمث الاخلاق حسن المعاشرة. أحو اخوان وصديق اصدقائه

فاذا اضفت الى ما تقدم أنه أحد اصحاب الضياع الواسعة في الصعيد وانه رجل من رجال المال المعدودين في القطر. عرفت انه من خير من يختار للنيابة عن هذه الامة. لانه فوق آدابه وشمائله مصري صميم وقبطي موقر في قومه ووطني صادق ومصري تتمثل له جميع المصالح المصرية ومطالب البلاد المادية والادبية

ع · م ·

صحيفة "الأهالى" الصادرة فى ٢٩ أبريل ١٩١٩، تقدم صورة وصفية لسينوت حنا، العضو فى الحزب الوطنى والجمعية التشريعية والوفد المصرى.

والإستقلال، بعد أن سيطرت عليه النغمة الطائفية والشقاق والخصام(١٠)

سابعا:

لعب رجال الدين من الأقباط والمسلمين دورا مشهودا فى تعميق الوحدة الوطنية بين الطرفين، والرد على محاولات الإستعمار لتفتيتها. فقد اشتركوا فى المظاهرات والإجتماعات والخطابات السياسية والكتابة فى الصحف، معتمدين على سماحة الإسلام والمسيحية، مذكرين بعلاقات الأخوة التى ربطت بين أتباعهما.

ثامنا:

كانت الصحف المصرية تنشر روح الوحدة والإمتزاج بين شقى الأمة سياسيا واجتماعيا، تعمق الإيمان الصحيح با لله، تنفى التعصب عن المسلمين، تدافع عن وطنية الأقباط، تؤيد العلمانية والوطنية فى الإختيار للوظائف الحكومية، تفسد خطط الإستعمار لتفتيت الوحدة الوطنية، وتؤكد أن المصريين شعب واحد له تاريخ واحد ومستقبل واحد.

الاخاء بين العنصرين

ان المصريين الآن قد وقفوا موحدي الرأي والكلمة لواء للطمير المتطلع بلادهم، ويطربهم ان يسمعوا في القريب العاجل صوتا يتفق مع الاصوات التي ترتفع الآن من أعماق القلوب لا فرق بين الصغير والكبير والغني والفقير والمسلم والمسيحي، بل تلاحمت العناصر كلها وتفرعت إلى ما يؤدي الى سعادة هذه البلاد

ان هذا الاخاء المتمكن العرى الآن يدل تمام الدلالة على ان كل شيء في مصر الآن أصبح مسيحياً، وان الفروق كلها قد زالت امام العمل لخير مصر. واليك مثالا من ذلك.—

وقفت يوم الاحد الماضي في الكنيسة المطرسية بالبلاسية عقب الصلاة وبين احتشاد الحاضرين فتاة من فضليات المسلمات «زينب صفي» فهزت عواطف المصلين واسترعت أسماعهم بما اتاه الله عليهم من آيات البلاغة والسحر الحلال اذ انشدت قصيدة عصماء في حب مصر ويمجد مصر فيها وصل صوتها الآن دليل حتى نزل الى القلوب تحركها وبعض حضرة الواعظ الفاضل مرح افندي جرجس والتي خطاباتها

أيها السادة

ان مصر من قديم الزمان كانت محط التعبد والتدين بل محطاً للاديان المختلفة فكان المصريون يعبدون آلاها من الآلهة المختلفة وهم على أعداد كم وكيف نحن لا نتحد ونحن نعبد الها واحداً فهل يصح ان نتفرق في عصر التوحيد وتوحد في عصر تفرق الآلهة. تصفيق

أيها السادة

قال المرحوم المأسوف عليه قاسم بك أمين «ان الوطنية الصحيحة تحتمل اعداء كل رأي» ولا ما عن لا تحتمل صبحة للرشدين مهما كانت لا تتفق مع حماسنا الوطني. لان مايجرمه كرازنا جمهوراً من الشعوب فكيف لا نحتمل خيانة الفريد لانها واما كثيرا ما تكون خيرا في بلادهم. فالواجب علينا ان نرحب بخير الكلام للقائل للامور يقول الدين المعاملة «تصفيق»

أيها السادة

يقول المثل العامي ان السكران في ذمة الصاحي وهكذا نحن العقلاء في ذمتنا البسطاء لئلا ما يتسبب في بلائه العقلاء يفسده الجهلاء منا «تصفيق»

أيها السادة— انه يجب علينا ان نحكم التقوى في نفوسنا تلك التقوى التي تحكم النفوس في ساعة الغضب متمسكين في كل أمورنا بالله ولا أنسى ان اذكركم بما قاله قسيس لوشنطون نحن نصلي لاجل أن يكون الله معنا طبعاً. بل لا. نصلي لاجل ان نكون نحن مع الله لانه من المؤكد ان الله معنا ولكن ليس من المؤكد اننا نحن مع الله «تصفيق»

أيها السادة — قال حضرة صاحب السعادة أحمد باشا زكي نحن مصريون قبل كل شيء أما انا فاقول نحن متحدون قبل كل شيء «تصفيق»

أيها السادة — قد ارسل لي حضرة الفاضل صاحب العزة قاسم بك هلال رئيس اركان حرب مصر سابقاً صورة الصليب مع الهلال واني اشكره على هذا الرسم الجميل ولكن ما أحسن أن أرى هذه الصورة الحسنة العملية ان اهل الهلال يتآخون مع اهل الصليب واهل الصليب يرفعون أيديهم على شكل صليب حتى يحفظ الله أهل الهلال والصليب معاً تحت لواء الانسانية اصل المحبة والاخاء «تصفيق».

أيها السادة — اني سمعت كثيراً خطاب حضرة الآنسة للهيئة للسوائل زينب صبيح التي نابت عن جمعية السيدات الاسلامية الآن ولقد سررت جداً عند ما ختمت خطابها بقولها فلتحيى مصر وأنا انا فاقول فليحيى المصريون لتحيى مصر «تصفيق».

صحيفة "الوطن" الصادرة فى أول أبريل ١٩١٩، تتحدث عن الإخاء الذى ساد بين عنصرى الأمة فى ثورة ١٩١٩، وصار صفة مميزة لها.

(٤)

مظاهر الوحدة السياسية والإندماج الإجتماعى

(أ)

الوحدة السياسية

كان للأقباط والمسلمين مواقف موحدة في كل مراحل الثورة وأعمالها، التى تراوحت من حيث الشدة واللين بين استخدام العنف واللجوء إلى أسلوب التفاوض. وكان رد الإحتلال أن رصاصه لم يفرق بين قبطي ومسلم، وأن أسوار معتقلاته ضمت الوطنيين من الطرفين. تؤكد ذلك محاضر أقسام الشرطة وسجلات المعتقلات وتقارير وزارة الداخلية(١١).

وقد زخرت الصحف والمذكرات والدراسات المختصة بالثورة، بمظاهر الوحدة السياسية بين الأقباط والمسلمين، كالمظاهرات فى الشوارع والإجتماعات السياسية فى المساجد والكنائس التى كان يتصدرها رجال الدين من الطرفين، والتى أحالت الجوامع والكنائس إلى مراكز للثورة، يرفرف عليها شعارها: الهلال يحتضن الصليب، فقد أدرك الجميع أن الهلال والصليب ذراعان فى جسد واحد له قلب

خطيبة اسرائيلية

بالازهر الشريف

جناب الفاضل صاحب الاهرام

حضرت أول أمس حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً سيدة حكيمة اسرائيلية الى الازهر وقامت بين الجمع خطيبة وبما أن هذه الحادثة هي الاولى في بابها أردت ان أعرضها على جريدتكم الغراء لعله يكون لها مكان فسيح

ومما يلاحظ أن السيدة كانت باللباس الشرقي أي المئزر والقناع

ثم قام الاستاذ الشيخ الحلاوي ورحب بها والقى نبذة في تاريخ الاسرائيليين وعلاقاتهم بالعرب وقام بعده أيضاً أحد القسيسين الاقباط فرحب بها وبقومها أيضاً

وقد أرفقت بهذا صورة الخطبة التي القتها والتي أعقبتها بالهتاف لمصر والمصريين وللشبان العاملين

والسلام طالب بمدرسة الطب السلطانية

***

أما خلاصة الخطبة التي ألقتها السيدة نظله ليفي فهي أن هذه الايام ليست ايام اضراب عن العمل بل أيام العمل كل العمل عمل النفوس والارواح وهو رأس كل عمل مادي وأي عمل أكبر من هذا وهو أن تتفق الامة المصرية جميعها حتى تصير كرجل واحد فلا يمنع الدين الاتحاد لان للوطن حرمة كحرمة الدين يشترك فيها اهله على اختلاف المذاهب والاديان . لذلك اشترك المسيحيون والاسرائيليون مع اخوانهم المسلمين وانها لبداية حياة جديدة في مصر والمصريين ومن الجديد فيها ان تقف فتاة اسرائيلية للخطابة في هذا المعهد الشريف وليس ذلك غريباً فبنو اسرائيل والمسلمون اخوة لاب واحد هو ابراهيم . ودعت في الختام بدوام المحبة والائتلاف

صحيفة "الأهرام"، الصادرة يوم ١٦ أبريل ١٩١٩، تتحدث عن قيام سيدة إسرائيلية بالخطابة في الجامع الأزهر، وترحيب المسلمين والمسيحيين بها.

واحد هو مصر(١٢).

ورحبت الصحف بتأليف "جمعية الوحدة الوطنية" التى كان هدفها تثبيت دعائم الوحدة بين الأقباط والمسلمين. وانتخب لرئاستها الشاعر الشيخ محمود عبد الله القصرى، وضمت مجموعة من خطباء مصر وأدبائها المعروفين من شقى الأمة. وتابعت الصحف نشاط الجمعية الذى تمثل فى إقامة الإحتفالات فى الأعياد المسيحية والإسلامية، والإحتجاج علىاعتقال الطلبة الوطنيين، والإعتراض على من يخالف إتجاه الحركة الوطنية، وشكر كل من يعضدها(١٣).

وأخذت الصحف تنشر إحتجاجات الأقباط والمسلمين معا على نفى سعد زغلول وزملائه، واستخدام العنف مع الوطنيين، واعتقال زعمائهم. ولما لاحظ القمص مرقص سرجيوس أن الإحتجاجات كادت أن تنصب على اعتقال سينوت حنا، كتب فى صحيفة "مصر" يقول: "لماذا لا تمتد أشعة هذا الشعور الحار إلى إخوانى العلماء كالأستاذ القاياتى والأستاذ أبو العيون ومحمد أفندى كامل حسين، الذين يقاسون برد الشتاء القارص فى رفح؟(١٤)،



القمص مرقص سرجيوس

شارك فى ثورة ١٩١٩ رافعا شعار "وحدة الهلال والصليب فى الصحف ويخطب فى الجوامع والكنائس والشوارع منا مطالبا بالإستقلال. واشتهر بين رجال الثورة بلقب "خطيب ناداه به سعد زغلول. واعتقلته سلطات الإحتلال البريطانى معتقل رفح. أثر عنه قوله على منبر الأزهر: إذا كان الإنجلي ببقائهم فى مصر بحجة حماية الأقباط، فإننى أقول: "ليمت الا المسلمون أحرارا..".

فضرب بذلك مثلا طيبا على المشاعر الأخوية الوحدوية التى جمعت بين زعماء الأقباط والمسلمين.

وأظهرت الصحف تضامن الأقباط والمسلمين فى مقاطعة لجنة اللورد ملنر، بنشر المقالات التى يعلن فيها رجال الدين والأهالى من الطرفين مقاطعتهم اللجنة، وكان كثير منها يوقع بعبارات تدل على تضامن شقى الأمة مثل "أقباط ومسلمو أسيوط"(١٥).

وعندما اقتحم الجنود الإنجليز الأزهر يوم ١١ ديسمبر ١٩١٩، إعتبر الأقباط ذلك إعتداء على كنائسهم، واحتجوا لدى السلطان وعلى صفحات الصحف.

ولما أعلن المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانى أن مصر جزء من الإمبراطورية البريطانية، إحتج الأقباط على ذلك(١٦).

وإيمانا من الأقباط بوحدة وادى النيل، فقد احتجوا على محاكمة الضابط الوطنى على عبد اللطيف فى السودان، وأعلنت صحيفة "النظام" أن مرقص حنا نقيب المحامين قرر السفر إلى السودان للدفاع عنه(١٧).

(ب)

الإندماج الإجتماعى

زخرت الصحف المعاصرة للثورة بمظاهر الإخاء والإمتزاج الإجتماعى فى الأعياد الدينية الإسلامية والمسيحية، وفى مناسبات الميلاد والصيام والنشاط الإجتماعى والخيرى والمرض والوفاة. وتأتى أهمية هذه المظاهر من كثرة تكرارها ودوامها، وارتباطها بالعادات والتقاليد، كما أنها تعكس رغبة أكثر أصالة فى الإمتزاج وتكوين الجماعة المصرية، وتؤكد أن ائتلاف العنصرين لم يكن أساسه الرد على السياسة الإنجليزية الرامية إلى التفرقة فحسب، لأنه لم يقتصر على الناحية السياسية وحدها، بل امتد إلى الحياة الإجتماعية أيضا(١٨).

وعلى سبيل المثال، فقد اشترك المسلمون مع الأقباط فى الإحتفال بعيد رأس السنة القبطية (عيد النيروز). ورأت الصحف إعتباره عيدا قوميا عاما، وطالبت الحكومة بجعله إجازة رسمية،

الأهرام

جريدة مصرية للمصريين

ما اجمل امس

لمن رآه

وما اكبره في تاريخ مصر الحديثة

تيار طبيعي شديد يسير بهذه الامة الى الموقف
الطبيعي الصحيح المتين الذي يحمل جسم الامة سليما
وشتاتها مجتمعاً وشملها مرصوصاً

تيار حكمت به العقول بعد حكم الطبيعة .
وابعث هـذا الحكم للصلحة والمنفعة . وأمله
أرض مصر وملأها واشبعت به ارجاؤها وسماؤها
ذلك تيار الاخاء والوئام بل الاتحاد والتمام .
أرسل العقلاء دعوته في هذا الوادي فلم تلق هـذه
الدعوة الا آذاناً تصغي وقلوباً تعي وأيادي تعمل

ودعوة التقطتها الصحف الحرة المخلصة من
افواه الخاصة والعامة والشيوخ والشبان والسيدات
والاوانس واذاعتها ونشرتها فاجابها الفلاح بالارتياح
والعامل بالبهجة والموزون بالشعر ... الكل
أناشيدها . حتى اذا ما حل أمس وهو عيد النصارى
جميعاً على اختلاف المذاهب والمشارب والاجناس
توافد اخوانهم المسلمون على الاديرة والكنائس
وعلى المعابد والمساجد ليشاركوهم عيدهم وليجعلوا
عيد كل فئة وطائفة من الامة عيد الامة كلها .
فأحسسنا وتلك الوفود تنتقل من دير الى دير ومن
كنيسة الى معبد الى مقابلة حبر — ان قلب هذه البلاد
يخفق سروراً وفرحاً ويبارك أبناءها حباً وبهاً
ويعم املا الآتي على هذا البنيان الحديث السامي
كما أحسسنا دبيب الروح الجديدة في كل شيء في
هذا الوادي . وتمثلت لنا مصر العزيزة الكريمة
الجليلة وهي تخلع بايدي ابنائها العقلاء المسلمين
الحذاق الثوب القديم الخلق لترتدي الحلة
الجديدة الناصعة حلة الوطنية الصحيحة التي تجمع كل
أبناء هذا الوادي وكل من يحتضنهم مصر في حجرها كما

الاميركي لغير حكومة كل
كل مذهب ودين لكل أ
يقال ان حكومة اميركا ليس
ايضاً انها حكومة شعب حر
أصح عقيدة من سواه
ذلك مثال سام للعالم كله
وعقلاء هذه الامة وشيوخها
سام لجميع الامم الشرقية أ
لقراء هذه الجريدة منذ ٥٠
آراءنا واحدة في جهة الشر
ان النهوض في الشرق لا يكو
صحيحاً ولا يكون تاماً كاملاً
الاسلامية الكريمة في تعليـ
طوائفه وعناصره المختلفة
واحق شطر من الامة
في هذه الطليعة هو الشعب الذ
القدم في العلم والحرية التي اتـ
النيل وهي بمثابة القلب من ا
القلب نبضة تبعث حرارتها لا
اطرافه الى أقصاها . والمداهـ
والشعوب كتيار الكهرباء اذ
يلبث أن يمتد الى سائر الاقطار
وادي النيل بالاخاء والمحبة والاتـ
والاغضاء عن الفوارق التي
والتشبه بالامم الراقية الناهـ
تقول انا هادي امن وادي ا
هادي بها بعده كل شرقي لانه الا
ولي مقدمتهم بلا شك ولا ريـ

صحيفة "الأهرام" الصادرة يوم ٢١ أبريل تصف في افتتاحيتها على الصفحة الأولى، كيف المسلمون إخوتهم الأقباط إحتفالهم بعيد ال

ونشرت الخطب التى ألقاها زعماء المسلمين والأقباط، وممثلو الوفد والحزب الوطنى، وأكدوا فيها قوة الوحدة الوطنية. وهكذا فعلت الصحف عند حلول الأعياد الدينية الإسلامية والمسيحية، وكانت تنشر تهانى أبناء كل طائفة للأخرى(١٩).

ولما كان الإحتفال بالأعياد من مظاهر السعادة والسرور، فقد امتنع الأقباط عن الإحتفال بأعيادهم، حزنا واحتجاجا على نفى سعد زغلول وبعض زملائه، واعتقال الكثير من الوطنيين. ووجه المسلمون رسائل الشكر إلى الأقباط على مشاعرهم الوطنية.

ولاشك أن إطلاق إسم زعيم قبطى على شخص مسلم، من أكثر مظاهر الإمتزاج الإجتماعى دواما، وهو ما روته صحيفة "النظام" عندما قالت: "رزق حضرة كامل أفندى عثمان من أعيان أبو قرقاص المسلمين، مولودا ذكرا أسماه (وليم مكرم)، تقديرا لجهود الأستاذ وليم بك مكرم عبيد، وتمكينا لأواصر الإخاء الوطنى"(٢٠).

وكان الصيام فرصة طيبة لإظهار الإخاء والإندماج بين شقى

الأمة. فكان الأقباط يزورون المسلمين فى شهر رمضان، ويتبادلون معهم الخطب الحماسية(٢١). وشاركت بعض التلميذات المسلمات أخواتهن القبطيات صيام يوم الجمعة العظيمة(٢٢). واشترك الطلبة المسلمون فى مدرسة طنطا الثانوية مع زملائهم الأقباط فى "الصيام الكبير" فلما حل شهر رمضان، شارك الأقباط المسلمين فى صيامه(٢٣).

وامتد تيار الوحدة ليجرف أمامه أى مظهر من مظاهر النشاط التى كانت تقوى الصفة الطائفية. فقد رأى أكثر أعضاء نادى رمسيس القبطى، جعله ناديا عاما لجميع المصريين. وكان هذا النادى قد أنشىء قبل الثورة بخمسة عشر سنة، وظل قاصرا فى عضويته على الأقباط وحدهم(٢٤).

وتأكيدا لروح المحبة والسماحة الدينية، كان الأقباط والمسلمون يشتركون فى بناء الجوامع والكنائس، والتبرع للجمعيات الخيرية التابعة لكل منهما على السواء(٢٥).

(جـ)

دعاء واحد للإله الواحد

دعا رئيس الوفد الشعب المصرى كله يوم ٢٤ مايو سنة ١٩٢٠ لإقامة الصلوات فى المساجد والكنائس، إبتهالا إلى الله حتى يكلل بالنجاح مساعى الوفد فى سبيل الإستقلال التام، بينما كان سعد زغلول وأعضاء الوفد فى باريس، يسعون لإنجاح قضية استقلال مصر، ويستعدون لتلبية دعوة لجنة ملنر للوفد لبدء المفاوضات مع اللجنة فى لندن(٢٦).

وقد رأى سعد زغلول أن يرجع إلى الأمة لاستشارتها فى أمر السفر إلى لندن، للتفاوض مع لجنة ملنر، بعد أن تزعم الوفد حركة مقاطعة هذه اللجنة فى أثناء وجودها بمصر، وقاطعتها فعلا الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى. واقترح على ماهر وعبد العزيز فهمى لتحقيق استشارة الأمة، أن يكتب الشاعر أحمد شوقى دعاء يتلى فى المساجد والكنائس، ليكلل الله جهود الوفد بالنجاح فى مفاوضاته

فى لندن. فلما تمت تلاوة الدعاء فعلا فى دور العبادة، كان ذلك بمثابة إذن وتصديق من الأمة على سفر الوفد إلى لندن(٢٧).

وهذا هو نص الدعاء الذى تلى فى المساجد والكنائس بالعاصمة والأقاليم يوم ٤ يونية سنة ١٩٢٠:

"اللهم قاهر القياصر، ومذل الجبابر، وناصر من لا له ناصر، ركن الضعيف ومادة قواه، وملهم القوى خشيته وتقواه، ومن لا يحكم بين عباده سواه، هذه كنانتك فزع إليك بنوها، وهرع إليك ساكنوها، هلالا وصليبا، بعيدا وقريبا، شبانا وشيبا، ونجيبة ونجيبا، مستبقين كنائسك المكرمة، التى رفعتها لقدسك أعتابا، ميممين مساجدك المعظمة التى شرعتها لكرمك أبوابا، نسألك فيها روح الحق، ومحمد نبى الصدق، وموسى الهارب من الرق، كما نسألك بالشهر الأبر والصائميه، وليله الأغر والقائميه، وبهذه الصلاة العامة من أقباط الوادى ومسلميه، أن تعزنا بالعتق إلا من ولائك، ولا تذلنا بالرق لغير آلائك، ولا تحملنا على غير حكمك واستعلائك. اللهم إن الملأ منا ومنهم قد تداعوا إلى الخطة الفاضلة والكلمة الفاصلة، فى قضيتنا العادلة، فآتنا اللهم حقوقنا كاملة، واجعل وفدنا فى دارهم هو

وفدك، وجندنا الأعزل إلا من الحق جندك، وقلده اللهم التوفيق والتسديد، واعصمه فى ركنك الشديد، أقم نوابنا المقام المحمود، وظللهم بظللك الممدود، وكن أنت الوكيل عنا توكيلا غير محدود، سبحانك لا يحد لك كرم ولا وجود، ويرد إليك الأمر كله وأمرك غير مردود، واجعل القوم محالفينا ولا تجعلهم مخالفينا، واحمل أهل الرأى فيهم على رأيك فينا. اللهم تاجنا منك نطلبه، وعرشنا إليك نخطبه، واستقلالنا التام بك نستوجبه، فقلدنا زمامنا، وولنا أحكامنا، واجعل الحق أمامنا، وتمم لنا الفرح، بالتى ما بعدها مقترح ولا وراءها مطرح. ولا تجعلنا اللهم باغين ولا عادين، واكتبنا فى الأرض من المصلحين، غير المفسدين فيها ولا الضالين. آمين"(٢٨).

لقد أراد رئيس الوفد بهذا الدعاء أن يعمق إيمان الشعب بالله، وأن يبعث فيه مزيدا من الثقة والأمل فى الحصول على الإستقلال، وأن يقوى مشاعر الوحدة بين الأقباط والمسلمين، عندما يقفون جميعا فى خشوع أمام اله واحد يرجون هدفا واحدا. كما أراد الزعيم أن يربط بمشاعر الوحدة والتأييد بين الشعب فى مصر، ووفده فى باريس ولندن، فيشد كل منهما أزر الآخر.

وكانت الصحف المصرية خير معضد لرئيس الوفد، في تحقيق فكرة تلاوة هذا الدعاء، فوصفتها صحيفة "الوطن" بأنها "ثقة بالله وتوكل عليه تعالى، ما أحوجنا إلى التسلح بهما في قضيتنا". ثم قالت: "وإذا كانت إنجلترا قد نادت بالصلاة في ٦ من يناير سنة ١٩١٨ استمدادا للنصر على ألمانيا، وقد أمدها الله بما سألت، فنحن معاشر الشرقيين الذين تعد بلادنا مهبط الأديان السماوية، أولى بأن نستمسك من التقوى بأوثق العرى، ونلقى بأحمالنا بين يدى الله القدير الذى هو نصير الضعفاء"(٢٩).

وتحدثت "الوطن" عن قوة الصلاة مرددة قول السيد المسيح، "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل إنتقل فينتقل"(٣٠).

وأكدت صحيفة "الأهرام" أن الإيمان بالله هو مصدر النجاح في الدنيا، وأساس التسامح الدينى والوحدة الوطنية. وقالت إن الفرد عندما يضرع إلى الله لخير شعبه كله "يتعلم المساواة ويتعلم

الوطنية"(٣١).

وأوضحت صحيفة "مصر" أن "نجاح قضيتنا مكفول بعناية الله..وبقوة الإيمان..وباتحاد الأمة المتين فى المطلب الحق العادل، وبسياسة نوابغنا الذين يستمدون قوتهم من التفاف الأمة حولهم.."(٣٢).

واستخلصت صحيفة "وادى النيل" من دعوة رئيس الوفد الشعب لتلاوة هذا الدعاء، معنيين أولهما "إن ما وصلنا إليه فى قضيتنا من الغاية المحمودة إنما هو بفضل جدنا وثباتنا. والآخر الإستعانة مع قوانا الإنسانية بقوة أخرى روحية لا يليق بنا أن ننكر فضلها ولا أن نهمل الإلتجاء إليها".

وذكرت الصحيفة قوله تعالى: "ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون". ثم قالت إن "من حكمة الوفد فى عمله أن دعانا إلى إقامة الصلوات الجامعة فى أطهر البقاع وأليق المواطن بالعبادة، حتى بذلك نجدد الشعور العام، ونظهر فى هيئة التضامن الروحى الذى يزيد

قلوبنا صفاء وعقائدنا قوة وثباتا. وذلك ما تأمرنا به الأديان وترضاه لنا المدنية الصحيحة."

ونبهت الصحيفة إلى أنه "من الواجب علينا ألا ننسى ما في إجابة دعوة الوفد من معنى إحكام الصلة بين الأمة ووكلائها، ومن القيام بجليل الشكر للمولى عز وجل على أن وفق وفدنا إلى سبيل الحكمة في قضيتنا.."(٣٣).

وفي اليوم التالي لتلاوة الدعاء الموحد في المساجد والكنائس، وصفت "وادي النيل" إقبال أفراد الشعب من الأقباط والمسلمين "بكثرة غير عادية" على دور العبادة لتلاوة الدعاء. وبينت الصحيفة كيف تم الربط -بفضل هذا الدعاء- بين اتحاد المصريين في طلب العطف الإلهي، واتحادهم في المبدأ الوطني(٣٤)، فأكدت بذلك نجاح فكرة الدعاء الواحد.

(٥)

الحروب الإستعمارية لضرب الوحدة الوطنية

أشعل الإستعمار البريطانى وأعوانه نيران الحرب السياسية والنفسية، لتفتيت الوحدة الوطنية المصرية، لأنها وقفت سدا منيعا أمام تيارات السياسة الإستعمارية الرامية إلى السيطرة على الشعب المصرى كله. وامتدت نيران تلك الحرب فى السنة، يمكن وصفها فى النقاط التالية:

أولا: إتهام الأقباط بالإشتراك فى الثورة خوفا من المسلمين

دأبت الصحف الإنجليزية -وفى مقدمتها الـ"تيمس" والـ"ديلى تلجراف"- على ادعاء أن الأقباط لم يشتركوا فى الثورة ضد الإحتلال البريطانى إلا خوفا على أموالهم وأرواحهم من المسلمين.

وكان الهدف من ترديد هذا الإدعاء -الذى ينكر على الأقباط وطنيتهم- أن يتأثر به الأقباط، فإما أن يحاولوا نفيه بالإنسحاب من الحركة الوطنية، أو بالدخول مع المسلمين فى مساجلات لإثبات شجاعتهم وعدم خوفهم، وتكون نتيجة ذلك إحياء النعرة الطائفية، وتفتيت الوحدة الوطنية.

وكان من أهداف هذا الإدعاء أيضا ، الإيحاء بأنه لا عداء بين

وطنيـــة لا خوف

ليس غريبا ان يدهش البعض ان دلائل الاتحاد القاطعة بين ابناء الامة المصرية جميعا لم تكن عوامل تجديد لوفاق مفقود أو اتحاد غير موجود، بل كانت عوامل استدعاء الهمم ونداء القلوب لتتضافر كلها بقوة ذلك الوفاق المتين ولتسير جميعها الى الغاية العظمى فى نور الاتحاد القديم.

ليس ذلك غريباً لانه برهان على ان عوامل القطيعة لم تنل من رابطة الاتحاد الكامن فى القلوب على طول زمنها وكثرة عملها بل بقيت تلك الرابطة قوية حتى جاء وقتها فظهرت فى أجل مظهر وأجمل منظر، وشهدها كل ذي عين مبصرة فى هذه البلاد فلم يلاحظ فيها تصنعاً ولا تكلفاً. وكيف يمكن التصنع فيما كان يخرج من اعماق النفوس المصرية؟ وكيف يجوز التكلف فى تلك الانفاس الحارة والالتفاتات التى كانت تمشى بالقلوب بين الجوانح فتدركها يد اللامس

ولكن مراسل التيمس فى القاهرة أبى الآن ينظر بعين غير التى ينظر بها الناس جميعاً فقال: «ان الاقباط لم يشتركوا فى المظاهرات الاخيرة الا خوف اعتداء المسلمين» ومثل ذلك ما قالته جريدة الدايلي تلغراف الانكليزية. وقد سمعنا هذا القول فلم نجد أنفسنا فى حاجة الى انكاره، ولكننا تريثنا فى الرد عليه اتقاء لاثار الوهم الجائر وبعداً من أن يحمل أمثال مراسل التيمس ابتداءنا بالرد على محمل أننا نريد أن نورط اخواننا الاقباط. وقد صدق اليقين باسراعهم لاسقاط تلك التهمة عنهم وهم أرفع منها نفساً وأطهر وطنية. والان نحن نتكلم بعد أن فرغت زميلتانا «مصر» و «الوطن» من الكلام. بل بعد أن شاركتهما الصحف التى يستمدون هذا التعاقد من وطنيتهم وتاريخهم وماضيهم وأمثلة الحياة التى يرونها فى الامم العظيمة يدعى كاتب أنه غير صادق فى أحد الطرفين.. !

واذا لم تكن هذه الدلائل التى تفضى بها القلوب والصدور والجوارح والافعال الى أعين المبصرين وآذان السامعين - اذا لم تكن كافيـة للاقناع بأن الامة كلها ساعية الى غاية واحدة لا تبغي بدلا لها وأن المسلم والقبطي سواء فى ذلك فما الذي يقنعهم لتؤديه الامة لهم؟

ولقد اظلت الحياة الاقباط والمسلمين ثلاثة عشر قرنا بظل واحد هو ظل الجنس واللغة والوطن والمصلحة فامتزجت الدماء واختلطت الانساب واتحدت المصالح واتفقت المشاعر والاخلاق والعادات وأصبح الذي ينفع احدهم فى أمر من امور الدنيا ينفع الاخر لا محالة والذي يضر احدهم فى هذه الامور يضر الاخر بلا شك! هذا شيء مفروغ من تقريره لان أبعد الناس عن مصر يعرفه معرفة أقربهم اليها. فهو مسطور فى كتب المؤرخين قديما وحديثاً. وهو آية المجد التى تفتخر بها مصر. فليست أمتها ممزقة شيعا كالامم التى كثرت فيها الاجناس واللغات وتعددت فيها الالوان والاهواء ففقدت النظام واضمحلت الشعور المشترك، ووجدت العوامل الخارجيـة سبيلا بينها لتبديد الرأي وتقطيع اللحمة

ولئن كان هذا الزعم الفاسد طعنا فى وطنية اخواننا الاقبـاط فنحن لا ننكر أنه طعن فى وطنية الامة كلها لان معناه أن المسلمين معدودون فى تلك الوطنية العامة. ولقد كبرت هذه الكلمة وكبر ان يقبلها المصريون جميعا، وهذه هي صحف الامة تنكرها كل الانكار

صحيفة "وادى النيـل" الصـادرة فى ١٧ مايو ١٩١٩، تكذب إدعاء صحيفتى "التيمس" و"الديلى تلجـراف" البريطـانيتين، القـائل إن الأقبـاط اشتركوا فـى الثـورة خوفا مـن المسـلمين.

الأقباط والإنجليز، وأنه لولا المسلمين لما ثار الأقباط ضد الإنجليز. وفى هذا الإيحاء استمالة واضحة من الإنجليز للأقباط، لإبعادهم عن تيار الثورة.

ولكن الصحف المصرية الوطنية كانت على درجة عالية من الوعى السياسى، جعلتها تهب جميعا تفند إدعاءات صحف الإستعمار، فى جو من الحرص الشديد على تعميق الوحدة بين شقى الأمة، وإزالة ما قد يكون عالقا بالنفوس من آثار الفتنة الطائفية التى أثيرت فى مستهل القرن العشرين، حتى أن صحيفة "الوطن" القبطية التى خالفت الثورة فى كثير من الأمور، قالت إن الصحف الإنجليزية أزعجها "إتفاق الأقباط والمسلمين وارتباطهم بالشعور الوطنى الواحد فى المطلب الوطنى الواحد". ونفت "الوطن" عن الأقباط صفة الجبن والخوف، وأكدت أنهم اشتركوا فى الثورة "مدفوعين بوطنيتهم العريقة الراسخة التى تتغلغل فيهم". ثم أكدت الصحيفة شجاعة الأقباط ووطنيتهم قائلة إنه "لو صح أن الأقباط حريصون على أموالهم وأرواحهم يبيعون بها وطنيتهم وشرفهم، لألقوا بأنفسهم بالأولى فى أحضان الإنجليز وهم أصحاب الجيوش والأساطيل، ولم يلقوها فى

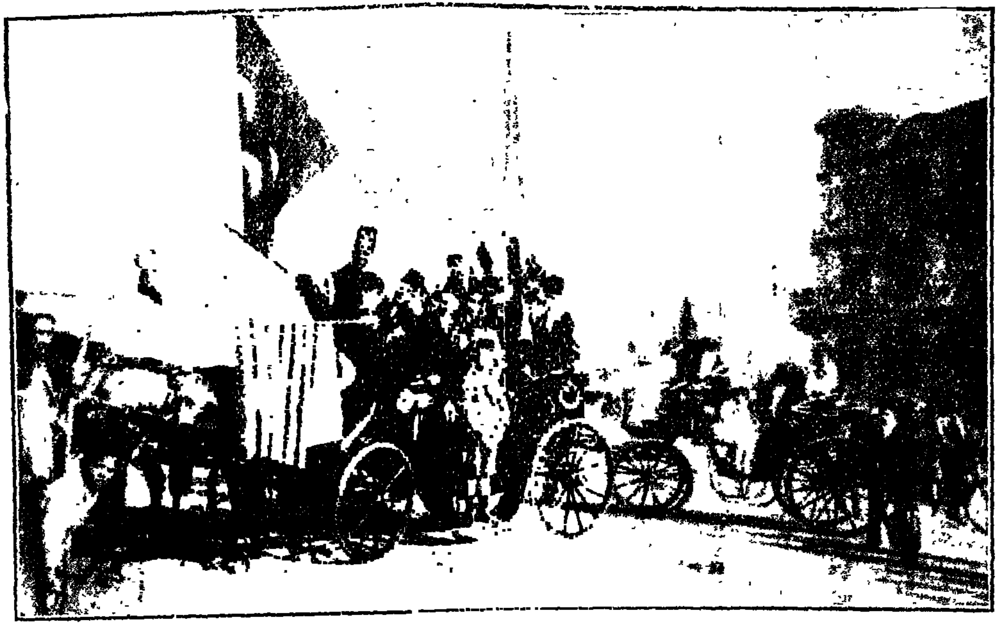
أيدى المسلمين وهم لا حول لهم ولا قوة ولا بطش." وأكدت "الوطن" اشتراك الأقباط فى ثورة ١٩١٩ بمحض إرادتهم بقولها إن "الوطنية المصرية تنزهت فى الحركة الأخيرة عن الشوائب، فسارع الأقباط إليها وعانقوها جزلين مسرورين"(٣٥).

وردت "الأهالى" على الـ"ديلى تلجراف" بقولها": "إن المصريين أرفع نفسا من أن يحقد بعضهم على بعض، وأن تكون وطنية فريق منهم جبنا وخوفا.. وقد علموا دائما أنه إذا حدثت فى وقت من الأوقات مناقشة وقتية بين العنصرين فى إحدى المسائل الجزئية، فما كان إخوانهم المسلمون ليحملوا من أجل ذلك حقدا ولا يكتنوا ضغينة من ضغائن أهل الشر الخائنين.."(٣٦).

وردت "النظام" على مفتريات الـ"تايمز" بسرد بعض مظاهر الإخاء والتضامن بين الأقباط والمسلمين، بما لا يدع مجالا للشك فى صدق وطنيتهما وقوة إتحادهما(٣٧).

ثانيا: إتهام الثورة بالتعصب الدينى

لم يكف المستعمر عن اتهام الحركة الوطنية فى مصر



المتظاهرون فى يوم ٨ أبريل ١٩١٩، يرفعون علم مصر وأعلام الدول الأجنبية، تأكيدا لوطنية الثورة، واحترامها الرعايا الأجانب، وعدم تعصبها ضدهم.

بالتعصب الدينى الإسلامى. وجه هذه التهمة إلى الثورة العرابية وحركة الحزب الوطنى. واستغل ماكان يلتبس بالحركة الوطنية من المسوح الدينية، التى نتجت عن سياسة مصطفى كامل القائمة على الإستناد إلى تركيا وسيادتها الرسمية على مصر فى محاربة الحزب الوطنى وأعضائه بفكرة "الجامعة الإسلامية"(٣٨).

وكان هدف الإستعمار من ذلك:

١- تبرير بقاء الإحتلال البريطانى بمصر، أمام الرأى العام الأوروبى لأن الأوروبيين ذوى الإتجاه المسيحى تستعديهم دعوى التعصب الإسلامى ضد المسيحيين، ولأن ذوى الإتجاه العلمانى تستعديهم دعاوى التعصب الدينى عامة، وهو دليل لديهم على تخلف الشعب تخلفا يحق معه بقاء إحتلاله.

٢- تفتيت الوحدة الوطنية، وعزل الأقباط عن تيار الحركة الوطنية، وإيجاد الخلافات الطائفية أو تغذية القائم منها حتى يستحيل مقاومة الإحتلال بتجمع شعبى وطنى واحد، ويتعذر بناء أجهزة الدولة أو تنظيمات الأحزاب على نحو علمانى قادر على تطوير المجتمع.

٣- تجريد الحركة الوطنية المصرية من مضمونها الوطني والقومي وإخفاء حقيقة الصراع بين الحركة الوطنية والإستعمار، بتصويره كصراع ديني لا سياسي، صراع بين التخلف الشرقي والتنور الأوروبي، وليس صراعا سياسيا واقتصاديا بين الإستعمار والإستغلال، وبين شعب وقع تحت وطأتهما(٣٩).

وفي نفس الوقت الذي دأب فيه المستعمر على اتهام الحركة الوطنية بالتعصب الديني الإسلامي، سعى إلى تغذية الإتجاه القبطي المتعصب الذي يمثله جندي إبراهيم وصحيفة "الوطن".

وقد ووجهت ثورة ١٩١٩ بنفس الإتهام ولنفس الأهداف، ولذلك كان سعد زغلول وويصا واصف وواصف بطرس غالي حريصين دائما في أحاديثهم للصحف الأجنبية
الصبغة الدينية عن الثورة، وتأكيد وطنيتها وعلمانيتها(٤٠).

ولما ترددت الشائعات حول وقوع الخلاف بين أعضاء الوفد في باريس، بادر سعد زغلول بالكتابة إلى لجنة الوفد المركزية بالقاهرة، ليؤكد أن "الإتفاق تام بين جميع الأعضاء.. والإتحاد متين بين الأقباط والمسلمين"(٤١).

وفى بيان زعيم الثورة إلى الأمة المصرية يوم ١٨ فبراير ١٩٢٠، أكد سعد زغلول الصفة الوطنية السياسية للثورة، وأبعد عنها الصفة الدينية قائلا إن الثورة لم تقم تعصبا لدين. ولكنها اشتعلت حبا في الوطن(٤٢).

وقد أرجع اللورد ملنر في تقريره، رفض المصريين للحماية البريطانية إلى أن "وجود المسلم فى مركز سياسى تحت إشراف المسيحى مناف لروح الإسلام.. وهذا ما حدا بالعنصر الدينى فى البلاد إلى تحريض الناس على الحماية بعد ما فسروها بأنها تفيد خضوع الحاكم المسلم والحكومة الإسلامية لملك مسيحى خضوعا دائما". فردت "النظام" على ادعاءات ملنر بأن المصريين ليسوا مسلمين فقط، بل وأقباطا أيضا، وقد اشتركوا جميعا فى الثورة، فهل فسر الأقباط معنى الحماية كما فعل المسلمون؟(٤٣).

ولقد كان اشتراك رجال الدين المسلمين والأقباط فى المظاهرات، واستخدام الجوامع والكنائس كمراكز للثورة، دليلا على وحدة شقى الأمة، ولكن الإستعمار إعتبره دليلا على اصطباغ الثورة بالصبغة الدينية العامة، منكرا صفتها العلمانية. وهذا ما رددته صحيفتا

، الـ"التيمس" والـ"إجيبشيان ميل"، فردت عليهما صحيفتا "الأهالى" "وادى النيل" بأن رجال الدين جزء من الأمة، واشتراكهم فى الثورة كفيل بسيرها فى سبيل التعقل والحكمة(٤٤).

وفى مواجهة إدعاءات كتاب الصحف الأجنبية الإستعمارية، نيت الصحف الوطنية بآراء الأجانب المتحررين والمتعاطفين مع لقضية المصرية، التى كانوا يعلنونها على صفحات بعض الصحف لأجنبية، وفى الإجتماعات السياسية بالجامع الأزهر، ويؤكدون فيها لوحدة بين الأقباط والمسلمين، وينفون كراهية المسلمين للمسيحيين لمصريين والأجانب(٤٥).

وعن الصلة الدينية بين مصر وتركيا، وأثرها على مشاعر المسلمين تجاه بريطانيا، نقلت "وادى النيل" عن الـ"مانشستر جارديان" قولها إن عطف المصريين على دار الخلافة فى الآستانة لا يحدوها إلى الهياج، واشتراك المساجد فى الثورة لم يصبغها بالصبغة الدينية، ولاتوجد بواعث دينية تحركها، وإنما مطالب المصريين وطنية محضة(٤٦).

وقالت "النظام" إن المصريين المسلمين تغاضوا عن العلاقات

الدينية التى تربطهم بخلافتهم " وساعدوا الحلفاء على قتالها وكسرها لأنهم سمعوا ساستهم يعلنون الجهاد فى سبيل المبادىء السامية الشريفة.. ولأنهم اعتقدوا أن انتصار الحلفاء يعد انتصارا لآمالهم الوطنية وحقوقهم القومية(٤٧).

وعبرت صحيفة "مصر" عن غلبة "الجامعة المصرية" على "الجامعة الإسلامية" بقولها: "إن المصريين اعتنقوا دينا جديدا هو الوطن الذى أقرته كل الأديان السماوية، وعلم المصريين على اختلاف أديانهم أن يتحدوا قلبا وقالبا ويصيحوا بصوت واحد (لتحى مصر)"(٤٨).

ثالثا: إثارة الصراع حول الوظائف الحكومية

عمل الإحتلال البريطانى على أن يخلق التنافس والحقد بين الإقباط والمسلمين والشاميين (وأغلبهم مسيحيون) حول التعيين فى الوظائف الحكومية، ثم جعل الموظفين الإنجليز يزاحمونهم جميعا.

وكانت سياسة الإحتلال أن يستثير الموظفين المسلمين ضد الأقباط، بحجة أن الأخيرين يزاحمونهم فى شغل الوظائف ويشغلون

من المناصب نسبة تزيد عن نسبتهم العددية، وكان يستثير الموظفين الأقباط بادعاء أن الشعور الإسلامى هو الذى يحد من ترقيتهم فى وظائف الدولة الكبرى. وكانت الصحف الأوربية تهول من الأمور وتنشر التعليقات المستفزة(٤٩).

وقد أثير موضوع تولى الأقباط المناصب العامة قبل ثورة ١٩١٩، منذ سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١١، على صفحات "الدستور" و"اللواء" و"مصر" و"الوطن" و"المقطم"(٥٠).

وقد أقر المؤتمر القبطى بأسيوط والمؤتمر المصرى بالقاهرة، مبدأ الإختيار للوظائف حسب الكفاءة بغض النظر عن الدين(٥١).

وفى مستهل ثورة ١٩١٩ نشرت صحيفة الـ"إجبشيان جازيت" رسالة إدعت أنها من مواطن قبطى. تضمنت عدة مطالب للأقباط، منها إسناد بعض الوظائف الإدارية الكبرى إليهم.

ولكن صحيفة "مصر" القبطية أسرعت بتكذيب الـ"إجبشيان جازيت" ونبهت إلى أن "هذا القول عزى إلى الأقباط حينما ظهر إتحادهم مع بقية إخوانهم الوطنيين بشكل واضح تجلى فيه الإخلاص

ليس للاقباط مطالب

نشرت الاجبشيان غازيت في عددها الصادر أول أمس جملة ادعت انها لمراسل قبطي جاء فيها عدة مطالب جديدة على زعم ان الاقباط يطلبونها هذه الايام . منها اسناد بعض الوظائف الادارية الكبري الي أفراد منهم ونحو ذلك من المطالب التي زعم الكاتب ان الاقباط يطلبونها الآن قياما بحق المساواة بينهم و بين بقية اخوانهم الوطنيين

وما كاد نظرنا يقع على هذه الجملة حتي دهشنا لمفاجئتنا بها في هذه الظروف الحاضرة كأنما هذه المطالب صدرت حقيقة من الاقباط وهم براء من الاتجاه الى مثل هذا القول في وقت يعلم الكبير منهم والصغير ان لامجال فيه لاقوال كهذه لم تخطر لاحد منهم في بال

ويلوح لنا أن هذا القول يعزى الى الاقباط حينما ظهر اتحادهم مع بقية اخوانهم الوطنيين بشكل جلي واضح تجلى فيه الاخلاص بنوره الساطع .

ونحن بما لنا من الاطلاع التام على حقائق أفكار جميع الاقباط ورغائبهم الخاصة والعامة يمكننا أن نصرح اليوم علنا بانهم بعد أن اصبحت القلوب صافية بين جميع عناصر الامة وصار كل فرد من ابنائها على ثقة بانه بات يهتم بمصلحة غيره كما يهتم بمصلحة نفسه لم يبق ثمت مجال لاقتراحات ومطالب مضى زمانها واصبح التشبث بها لا منفعة فيه .

قلنا مراراً ان التآخي بين المسلمين والاقباط قديم العهد جداً يرجع الى الحقبة الاولى من تاريخ ظهور الاسلام في العالم ومن بدء فتحهم مصر على عهد عمرو بن العاص في السنة العشرين للهجرة (٦٤٠ ميلادية) والذي يقرأ التاريخ بامعان يرى انه ما كان يفسد عهد التاخي بين الشعبين في جميع الاجيال الماضية غير العوامل الخارجية

وحينما كان يعود التآخي بعد ذلك الى سابق عهده ما كان خلفاء المسلمين وامراء المؤمنين منهم يخلقون أقل فارق بينهم و بين الاقباط فكانوا يتخذون منهم الوزراء ورؤساء المصالح و كبار عمال الدواوين وحفظة الاموال وجباة الخراج يدلك على ذلك أن الملك المعز لدين الله اتخذ سعيداً هبة الله الفائزي أحد اكابر القبط في زمانه رئيسا لوزرائه سنة ٥٥٤ للهجرة . وجاء عنه في تاريخ المسلمين أنفسهم انه اول قبطي ولي رئاسة الوزارة في مصر

وهكذا كنت تجد جميع الحكام المسلمين

صحيفة "مصر" الصادرة في ٢٦ أبريل ١٩١٩، تشيد على صفحتها الأولى بالتآخي بين الأقباط والمسلمين، وترد على زعم صحيفة "الإجبشيان جازيت" أن للأقباط مطالب خاصة في الوظائف الإدارية الكبرى.

بنوره الساطع..". وسردت الصحيفة تاريخ العلاقات الطيبة بين الأقباط والمسلمين منذ الفتح الإسلامى لمصر، وأبانت كيف ساد الإخاء والعدل الجميع، وقالت إنه "ماكان يفسد عهد التآخى بين الشعبين فى جميع الأجيال الماضية غير العوامل الخارجية"(٥٢).

وفى نفس يوم تعيين يوسف وهبة رئيسا للوزارة، نشرت الـ"إجبشيان جازيت" رسالة نسبتها إلى حبيب شنودة (بك) عمدة أسيوط وبعض الأقباط، يشكون فيها من "السياسة الإنجليزية التى حرمت الأقباط من الرقى إلى المراكز الإدارية الكبرى فى الحكومة.. وهذا أمر يؤسف له جد الأسف، وقد حمل كثيرين من الأقباط على الإنضمام إلى الحركة الثورية القائمة الآن بمصر.. لذا نرجوكم أن توجهوا إلتفات لجنة اللورد ملنر إلى هذه الحقيقة"(٥٣).

وكان الهدف من نشر هذه الرسالة بهذا الأسلوب، إشاعة الشكوك بين الأقباط والمسلمين، وإظهار الأقباط كأنهم يطالبون بالوظائف ثمنا لانسحابهم من الحركة الوطنية.

ولكن ثورة الأقباط الفورية العنيفة ضد يوسف وهبة، لم تعط فرصة للشكوك أن تنتشر. كما أن الصحف الوطنية بادرت بإفساد ما

كان يقصد بنشر الرسالة من بث روح الفرقة. فقالت "الأخبار" إن كتابة هذه الرسالة ليس من الكياسة في شيء، وأنها تؤول تأويلا سيئا. ثم قالت إن سعد زغلول كتب إلى سينوت حنا في العام السابق يقول: "إن المسلمين متضامنون مع الأقباط فيما يختص بمسألة الوظائف وغيرها من المطالب الثانوية"(٥٤).

وأوضحت "النظام" أن الرسالتين اللتين نشرتهما الـ"جازيت" ملفقتان. وطلبت من الـ"جازيت" الكف عن محاولاتها لهدم الوحدة الوطنية، وأكدت أن تلك الوحدة أقوى من كل الإفتراءات(٥٥).

ولم تمض ثلاثة أيام حتى أرسل حبيب شنودة تكذيبا إلى الصحف، أكد فيه أن الرسالة مزورة، وطلب من الـ"إجبشيان جازيت" تكذيب ما نشرته، أو تقديم الخطاب إلى النيابة للتحقيق وتقديم صاحبه للمحاكمة على جنايته التي يريد بها التفريق بين أبناء أمة شاء الله أن تتحد إلى الأبد(٥٦).

واحتج الأقباط على الرسالة المزيفة وبعثوا بالتحية إلى عمدة أسيوط الذي أسرع بتكذيبها(٥٧).

وألقى وليم مكرم عبيد خطابا فى حفل تكريم صادق حنين بعد رفته من وظيفته قال فيه: " خذوا منا وظائفنا وأموالنا ومستقبلنا، ولكن اتركوا لنا إخلاصنا، فهو كل ما نملكه قواما لحياتنا وغذاء لنفوسنا.."(٥٨).

وفى أثناء عمل لجنة الدستور، أشيع أن وزارة عبد الخالق ثروت، وزعت أمرا سريا على مصالح الحكومة المختلفة بأن تراعى فى التعيين أن تكون نسبة الموظفين الأقباط إلى المسلمين واحدا إلى إثنى عشر تنفيذا لمبدأ حماية الأقليات الذى ورد فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢.

ووجه "المستر سوان"، عضو مجلس العموم البريطانى المتعاطف مع المسألة المصرية، سؤالا إلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية، عن مدى صحة هذه الشائعة، و "هل يراد بهذه السياسة الإنتقام من الأقباط لإنضمامهم إلى المسلمين فى الحركة الوطنية؟" وعندئذ طالبت بعض الصحف المصرية الحكومة المصرية بإعلان موقفها(٥٩). ولكن الوزارة سكتت، فاتهمتها بعض الصحف بأنها "تعمل بوحى من الإقتراحات التى عرضتها عليها حكومة

لندن"(٦٠).

واحتج الأقباط وأعلنوا أنهم "في غنى عن تلك الحماية الموهومة التى لا يراد بها إلا التفريق بيننا وبين إخواننا المسلمين والقضاء على الحركة الوطنية"(٦١).

رابعا: محاولة إثارة الفتنة الطائفية بتعيين رئيس وزراء قبطي يتعاون مع الإنجليز

أقلق اتفاق الأمة على مقاطعة لجنة ملنر رجال الإحتلال البريطانى، فوجهوا جهدهم لتفتيت الوحدة الوطنية، تمهيدا لوصول اللجنة التى كان هدفها الأساسى الحصول على اعتراف المصريين بالحماية البريطانية على مصر، بعد أن حصلت بريطانيا على اعتراف الدول الكبرى بها فى مؤتمر السلام(٦٢).

فلما استقالت وزارة محمد سعيد، نتيجة للمعارضة الشديدة التى واجهتها من الوطنيين، وضع الإنجليز على رأس الوزارة الجديدة رجلا قبطيا هو يوسف وهبة.



يوسف وهبة

من رجال السياسة الأقباط المعتدلين.كان وزيرا للمالية في وزارة محمد سعيد. فلما استقالت الوزارة، قبل تأليف وزارة جديدة يوم ٢١ نوفمبر ١٩١٩، في وقت حرج قاطعت فيه الأمة مناصب الوزارة ولجنة "ملنر"، فثار عليه الأقباط والمسلمون وأجبروه على الإستقالة.

وكان هدف الإنجليز أنه لو سكت الشعب على الوزارة، تحقق الهدوء الذى يرجوه الإنجليز عند وصول لجنة ملنر، ولو ثار الناس عليها قيل إن الثورة موجهة إلى رئيسها "القبطى" الذى يرفضه "المسلمون". وفى الحالتين يمكن الإدعاء بأن الأقباط يرحبون بلجنة ملنر. أما إذا تعرض رئيس الوزراء للإغتيال، فإنه يمكن إستغلال الحادث كما استغل من قبل حادث إغتيال بطرس غالى(٦٣).

وفور ذيوع خبر تشكيل الوزارة يوم ٢١ نوفمبر ١٩١٩، إجتمع عدد كبير من الأقباط فى الكنيسة المرقسية الكبرى، وأبرقوا إلى يوسف وهبة محتجين بشدة على قبوله رئاسة الوزارة "إذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر، وهذا يخالف ما أجمعت عليه الأمة المصرية فى طلب الإستقلال التام ومقاطعة اللجنة"(٦٤).

وأخذت الصحف تنشر رسائل الإحتجاج الواردة من الأقباط على اختلاف فئاتهم بالعاصمة والأقاليم(٦٥).

وكتب سينوت حنا فى صحيفة "مصر" يهاجم يوسف وهبة وينبه إلى أن الهدف من تعيينه هو التفرقة بين الأقباط والمسلمين.

ونقلت "مصر" عن الـ"جورنال دى كير" قول ويصا واصف إن يوسف وهبة لا يمثل القبط ولا يعبر عن أمانيهم(٦٦).

ولما رأى قادة الحركة الوطنية مدى استياء الأقباط من مخالفة يوسف وهبة إتجاه الحركة الوطنية، وخشيتهم من حدوث نفور بينهم وبين إخوانهم المسلمين، توجهت جماعة من أعضاء الوفد ولجنته المركزية، يتقدمهم عبد الرحمن فهمى سكرتير عام اللجنة، إلى الكنيسة المرقسية يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٩، ليؤكدوا للأقباط تألم المسلمين أيضا من فعلة يوسف وهبة، وأنها لا يمكن أن تسبب أى فتور فى العلاقات بين العنصرين، لأنه إذا وجد بين الأقباط خائن قبل رئاسة الوزارة فى هذه الظروف الحرجة، فقد وجد بجواره سبعة من الوزراء المسلمين(٦٧).

ونشرا لهذا المعنى، أفسحت الصحف المجال لرسائل المواطنين المسلمين التى يشكرون فيها إخوانهم الأقباط على "صدق وطنيتهم وإخلاصهم لأمتهم"(٦٨).



عريان يوسف سعد

الشاب القبطى الوطنى، الطالب بمدرسة الطب (١٩ سنة)، الذى حاول اغتيال يوسف وهبه رئيس الوزراء القبطى، لإزاحته عن طريق الحركة الوطنية، ولتلافى حدوث فتنة طائفية، إذا قام بالإغتيال أحد المسلمين.

وأبدى سعد زغلول إعجابه بتبرؤ الأقباط من يوسف وهبة، وبما كتبه ويصا واصف فى الـ"جورنال دى كير" من اعتراض شديد عليه(٦٩).

وبذلك أكدت قيادة الوفد والصحف الوطنية، أن المسلمين متضامنون مع الأقباط لإسقاط الوزارة غير الوطنية.

وردا على تعيين يوسف وهبة رئيسا للوزارة، إنتخبت اللجنة المركزية للوفد مرقص حنا وكيلا للجنة ونائبا لرئيسها محمود سليمان، الذى كانت السلطة البريطانية قد حددت إقامته خارج القاهرة. ورحبت الصحف الوطنية بتلك الخطوة التى "خرجت بالوحدة القومية المصرية التى أرادوا تفكيك عراها، أقوى وأبهى مما كانت عليه، وتلقى ساسة العالم من المصريين درسا لا ينسى فى الوطنية الصحيحة والدهاء السياسى.."(٧٠).

وعندما أرادت الحركة الوطنية التخلص من يوسف وهبة باغتياله، جندت لذلك أحد الوطنيين الأقباط هو عريان يوسف سعد، وذلك حتى لا تعطى للمستعمر الفرصة لإشعال نار الفتنة بين شقى

الأمة، إذا قام بالإغتيال أحد المسلمين.

وقد ألقى عريان يوسف سعد قنبلتين على رئيس الوزارة، صباح يوم ١٥ ديسمبر ١٩١٩، بينما كان مارا بسيارته في شارع سليمان (باشا) متجها إلى وزارة المالية، ورغم انفجار القنبلتين، إلا أنهما لم تصيبا رئيس الوزراء ولا السيارة. وقبض على الشاب الوطنى وهو يحاول إخراج مسدس من جيبه. واعترف في التحقيق أنه كان يحاول اغتيال حياة يوسف وهبة. وحوكم أمام محكمة عسكرية إنجليزية، قضت عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات، وأفرج عنه سنة ١٩٢٤ ضمن من شملهم العفو في عهد وزارة سعد زغلول(٧١).

وكانت الصحف الوطنية متعاطفة مع عريان يوسف عند محاكمته، فقالت "النظام" إن الذى دفعه إلى اغتيال رئيس الوزراء هو إخلاصه لوطنه(٧٢)، ثم نقلت عن صحيفة الـ"جورنال" الباريسية قولها إنه "أراد أن يبرهن بهذا العمل على تعاضد وتماسك الأقباط والمسلمين فيما يختص بالمطالب الوطنية"(٧٣).

وكتب عبد الرحمن فهمى من القاهرة إلى سعد زغلول في

باريس، يصف مدى شجاعة عريان يوسف فى أثناء المحاكمة ويقول إن شجاعته "يفخر بها المصرى أينما كان وحيثما كان"(٧٤).

وأوضح إبراهيم عبد الهادى كيف أن عريان يوسف سعد الشاب القبطى الوطنى الذى كان طالبا متفوقا بكلية الطب، أصر على اغتيال رئيس الوزراء بنفسه، ورفض رفضا قاطعا أن يتولى هذه التضحية أحد سواه، باعتباره قبطيا مصريا صميما، وبذلك تسد المسالك على اللاعبين بالنار، المحاولين إشعال نار التفرقة والفتنة الدينية(٧٥).

وتوالت بعد ذلك محاولات إغتيال ثلاثة من الوزراء المسلمين الأعضاء فى وزارة يوسف وهبة(٧٦)، فلم يكن الدافع وراء محاولات اغتيالهم جميعا هو الإنتماء الدينى أو الطائفى، بل السلوك السياسى.

وفى النهاية فشل المستعمر فى تحقيق هدفه من تعيين يوسف وهبة رئيسا للوزراء، وانتصرت الوحدة الوطنية، وأخفقت وزارة يوسف وهبة فى تحقيق مهمتها والتعاون مع لجنة ملنر، ونجحت مقاطعة الشعب للجنة. وسارت الحركة الوطنية فى طريقها، فقدمت

الوزارة استقالتها فى ١٩ من مايو ١٩٢٠.

خامسا: محاولة تفتيت المجتمع المصرى إلى أكثرية مسلمة، وأقليات غير مسلمة تحت الحماية البريطانية

حرص الإحتلال البريطانى على أن يصور مصر فى شكل مجموعات سكانية متنوعة ومختلفة. وكان جل جهده لتفتيت القومية المصرية مركزا على الأقباط، باعتبارهم الأقلية الدينية الأساسية فى مصر، فإذا أمكن عن طريقها إقرار مبدأ الأقليات، أمكن إصطناع أقليات أخرى كالعرب (البدو) والأوربيين وغيرهم.

وكانت بريطانيا تسعى لتبرير وجودها الدائم فى مصر بحماية الأقليات: القبط والقاطنين فى مصر من الأوربيين، كذريعة للتدخل المستمر فى شئون مصر الداخلية. ودأبت على اتهام الأغلبية المسلمة بالتعصب الدينى ضد الأقباط وبقية الأقليات المسيحية، لوصم المصريين بالتخلف الحضارى ولتبرير حماية الأقليات(٧٧).

لذلك لا نعجب إذا رأينا الإنجليز يعملون -إبان ثورة ١٩١٩- على الظهور بمظهر المدافعين عن الأقليات. فقد حرص

اللورد كيرزون، فى مشروع المعاهدة الذى قدمه لعدلى يكن فى نوفمبر ١٩٢١، على تخصيص بنود الباب العاشر لحماية الأقليات. وعندما اعترف الإنجليز باستقلال مصر فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، إنتقصوا من هذا الإستقلال بالنص على حماية الإنجليز للمصالح الأجنبية والأقليات.

غير أن ثورة ١٩١٩ وقفت ضد الإعتراف بأى تحفظ دولى بخصوص الأقليات المصرية. وهاجم الوفد والحزب الديمقراطى المصرى تصريح ٢٨ فبراير ورفضته الحركة الوطنية، واعتبرت حماية الأقليات والأجانب وسيلة للتدخل البريطانى فى الشئون المصرية.

وهب الأقباط يعلنون أنهم يرفضون الحماية البريطانية واعتبارهم أقلية، وأكدوا أنهم يفضلون الإندماج فى الأكثرية الإسلامية. وكان موقفهم هذا إستمرارا لمسار تاريخهم الذى يؤكد أن العقيدة الدينية لديهم إتحدت بالوطنية فكان شرط دخول واحد منهم تحت حماية دولة أجنبية أن يغير عقيدته..والتنكر للوطنية كان يتضمن فى نفس اللحظة التنكر للكنيسة.. ولقد أدى حرص الأقباط على عقيدتهم وإيمان كنيستهم إلى رفضهم كل دعوة للإنضمام تحت أى

لواء أجنبى دينى أو سياسى، وجعلهم أحد الأركان الوطيدة فى مقاومة السيطرة الإستعمارية الدخيلة(٧٨).

وتأكيدا لهذه المعانى أعلن واصف بطرس غالى سكرتير الوفد أن إنجلترا ليس لها حق حماية الأقليات، لأنه من اختصاص عصبة الأمم، وأن المصريين يعتبرون ذلك تدخلا فى شئونهم. وقالت صحيفة "وادى النيل" التى نشرت أقوال واصف بطرس، إن حماية الأقليات تهدف إلى التفرقة بين المصريين(٧٩).

وأكدت صحيفة "مصر" أن الأقباط جزء لا ينفصل عن الأمة المصرية.."ونحن نقاوم هذا التمييز كل المقاومة إذ لا غرض منه سوى التفريق بين أمة متحدة، لبلوغ أغراض سياسية"(٨٠).

وكان رأى صحيفة "النظام" أن حماية الأقليات وسيلة لتحقيق أغراض ومطامع الإنجليز، وهدم استقلال مصر(٨١).

سادسا: محاولة تفتيت المجالس النيابية المصرية إلى أكثرية وأقليات

حاول الإحتلال الإنجليزى إقرار مبدأ تمثيل الأقليات فى

الهيئات النيابية المصرية، تأكيدا للتفرقة بين المصريين.

وقد أثير هذا الموضوع فى المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى، ولكن المؤتمرين رفضا مبدأ التمثيل الطائفى، رغم جو الإثارة الطائفية الذى افتعله الإستعمار وعقد المؤتمران وسطه.

فانتهز الإنجليز فرصة إنشاء "الجمعية التشريعية" سنة ١٩١٣، وحرص اللورد كتشنر -الذى وضع نظامها- على تقرير مبدأ التمثيل الطائفى. ثم نص تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ على حماية إنجلترا للأقليات. وألقى هذا النص بظله على مناقشات لجنة إعداد دستور سنة ١٩٢٣.

فقد طالب حسين رشدى بالنص فى الدستور على حماية الأقليات، لإسقاط حجة بريطانيا فى حمايتها لهم.

وطالب توفيق دوس بوضع نظام للأقليات يضمن تمثيلها النيابى لسببين، أولهما سياسى هو قفل الباب أمام التدخل الأجنبى، وثانيهما سبب قانونى هو أن يوجد من يمثل مصالح الأقليات فى المجلس النيابى الذى يقرر التنظيمات والقوانين التى تسرى على

الجميع، وقال إن الجمعية التشريعية فى مصر، ودساتير بلجيكا وأسبانيا عرفت نظام تمثيل الأقليات.

وأيد محمود عزمى رأى توفيق دوس، وقال إن المجلس النيابى يتولى بحث شئون إجتماعية وتعليمية مرتبطة بالدين، وإن تضامن العناصر المصرية يوجب تمثيل الأقليات.

وانضم إلى توفيق دوس ومحمود عزمى: إلياس عوض ويوسف قطاوى وعلى المنزلاوى وعبد اللطيف المكباتى(٨٢).

وقد أيدت صحيفة "الوطن" تمثيل الأقليات، وقالت إنه "برهان عملى على أن الحكومة تصون مصالح هذه الأقليات، فليس ثمة ما يدعو الحكومة الإنجليزية إلى تحريك ساكن بحجة الدفاع عن مصالحها يوما"(٨٣). وروت "الوطن" مناقشات لجنة الدستور حول استقالة الأنبا يوأنس منها، وكيف أجمع الأعضاء على ضرورة انضمام أب روحى بدلا منه. واستخلصت الصحيفة من ذلك أنه "إذا كان أعضاء لجنة الدستور لم يستطيعوا الإستغناء عن عضو أو أعضاء يمثلون الأقليات المسيحية وهم يضعون نصوص الدستور، فهل فى وسع

البرلمان المصرى الذى سيكون وليد هذا الدستور أن يستغنى عن الأعضاء الذين يمثلون الأقليات، ليعرف آراءهم فيما سيعرض عليهم من الأمور التى لها مساس بهم؟ إننا لا نعتقد ذلك، ويشاركنا فى هذا الإعتقاد أعضاء لجنة الدستور أنفسهم"(٨٤).

وأخذت صحيفة "المقطم" تنشر آراء الأقباط والمسلمين المؤيدة لتمثيل الأقليات. وكانت تدور حول السبب السياسى، وهو أن عدم تمثيل الأقباط فى البرلمان يجعل من العسير على من يفاوض الإنجليز من النواب المسلمين التحدث باسم الأقباط، والقول بأنهم لا يريدون حماية الإنجليز لهم، وأن تمثيل الأقليات فى البرلمان هو الطريق العملى لرفض الحماية(٨٥).

أما معارضو تمثيل الأقليات فى لجنة الدستور، فكان فى مقدمتهم عبد الحميد بدوى وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر وأحمد طلعت ومحمود أبو النصر وقلينى فهمى.

وكان رأى عبد الحميد بدوى أن السبب السياسى الذى ادعاه توفيق دوس -وهو إسقاط حجة بريطانيا فى التدخل- سبب

غير قائم، وأن المعاهدات الدولية الحديثة لم تزد عن تأكيد مبدأ المساواة، و لم يقبل أحد تقرير مبدأ "تمثيل الأقليات". وقال إن السبب القانونى غير قائم أيضا، لأن الأكثرية ليست أكثرية فحسب، بل هى طوائف تفصل بينها المصلحة كالملاك والتجار والمهنيين، ولا يقول أحد بوجوب تمثيل هذه الطوائف. وأضاف أن تمثيل الأقليات فى دستور بلجيكا يتعلق بالأقليات السياسية لا الدينية.

ورد عبد الحميد بدوى على تخوف توفيق دوس من ضياع حقوق الأقلية، بأن الأساس هو التفاهم والتسامح، وأن الخلاف كان دائما موقفا إستثنائيا. وأن الفارق الدينى ينمحى بمرور الزمن، ووجود تمثيل للأقليات يوجد الجهة التى تحرص عليه فتزيد الفوارق وتنمو.

وقال عبد العزيز فهمى إن تمثيل الأقليات يعنى منحهم إمتيازا ليس لغيرهم، مع أن الروح الديمقراطية تعنى إزالة الفوارق.

ودارت بقية آراء معارضى التمثيل فى اللجنة حول هذه المعانى.

وقد عارض الوفد والحزب الوطنى مبدأ تمثيل الأقليات، كما عارضته الأغلبية الساحقة من الأقباط.

وكتب عزيز ميرهم -عن الحزب الديمقراطي المصرى- فى صحف: "الأهرام" (٨٦) و"الوطن" (٨٧) و"وادى النيل" (٨٨) يرد على مؤيدى تمثيل الأقليات وخاصة محمود عزمى، فاتهم لجنة الدستور بوجود عناصر رجعية بها، وقال إن القوانين تتطور من دينية محضة إلى مدنية صرفة، وإن الأكثرية والأقليات ستزول وتحل محلها جماعات سياسية واقتصادية تتألف منها الأحزاب، ويجب على الدساتير مساعدة هذا التطور(٨٩).

أما صحيفة "النظام" فقالت إن الدساتير العصرية لا تعترف بالأقليات الدينية، وإن النص على تمثيلها يقوى حجة الإستعمار فى حمايتها. وأشادت الصحيفة ببيان الوفد الذى أكد أن الحرية والإستقلال هما دين الأمة المصرية(٩٠). ووصفت الإجتماع الكبير الذى عقده جمهور كبير من المحامين والأطباء والوجهاء والتجار والأعيان والطلبة الأقباط فى الكنيسة البطرسية، وتحدث فيه سلامة ميخائيل، أنطون جرجس، ويصا واصف، والشيخ مصطفى القاياتى. وأعلن الجميع تمسكهم بالوحدة الوطنية ورفضهم تمثيل الأقليات، وثقتهم فى مستقبل تسوده المساواة والأخوة(٩١).

واحتج مطران أسيوط، وراعى كنيسة حارة الروم، وكثير من الأفراد والهيئات بالقاهرة والأقاليم، على تمثيل الأقليات وعلى آراء توفيق دوس، وأعلنوا تضامن الأقباط مع المسلمين والرغبة فى "فناء الإختلافات الدينية فى الجنسية المصرية"(٩٢).

كما أعلن الأقباط براءتهم من توفيق دوس، ورفضهم أن تعين الحكومة ممثلين لهم فى البرلمان لأن ذلك يعنى إما افتقارهم إلى من يصلح للإنتخاب إذا ترك حرا، أو "أن دوس يعتقد بوجود من يصلح ولكنه يخشى أن يحرم تعصب الأكثرية الأقباط من وجود من يمثلهم!!.."(٩٣).

ولما أزعج موقف الأقباط الوطنى الإستعمار، هبت وسائل الدعاية الإستعمارية تهاجمهم. فقد وصفت صحيفة الـ"مورننج بوست" المنادين بتمثيل الأقباط بالشجاعة، ووصمت الرافضين للتمثيل بالجبن. وأخذت الـ"إجبشيان جازيت" تعزف نغمة "الأكثرية المسلمة" و"الأقليات المسيحية".

فتصدت "النظام" لهذه الحملة، وقالت إن الهدف منها فتح

ثغرة فى اتحاد المسلمين مع الأقباط، وإن الأقباط "كانوا أكثر الناس تضحية وأكثرهم ثباتا وأكثرهم إخلاصا" ولو "تمشوا مع السياسية الإنجليزية لكانت الـ"مورننج بوست" أول من وصفتهم بالشجاعة الأدبية. ولكنهم وقفوا أمام هذه السياسة موقفا مشرفا فاستثاروا غضب الإستعماريين!!"(٩٤).

وعارضت "اللواء المصرى" -صحيفة الحزب الوطنى- تمثيل الأقليات. وامتدحت موقف الأقباط الذين كانوا فى مقدمة المطالبين بالإستقلال، والمعارضين لتفتيت الوحدة الوطنية(٩٥). وقالت: "نريد أن نبقى أمة واحدة ممثلة أحسن تمثيل فى برلمانها، يجلس كل مندوب فوق كرسيه، ولا يشعر إلا أنه مصرى، فلتكن لإخواننا الأقباط الأغلبية ولتكن للمسلمين الأقلية، وإنما لتوجد المساواة حتى يكون إحساس كل منهم واحدا، هو أنه مصرى ولا يعمل لغير مصر"(٩٦). وأفسحت الصحيفة صدرها لآراء المسلمين والأقباط الذين عارضوا تمثيل الأقليات(٩٧).

ورغم أن "المقطم" رحبت بآراء المؤيدين لتمثيل الأقليات، فقد نشرت آراء المعارضين أيضا(٩٨). كما نشرت اقتراحا يحاول

حل المشكلة إبتداء من جذورها، ويقضى بتشكيل جمعية مـن الكتـاب والصحفيين والعلمـاء والمحـامين والمتعلمـين، تعضدهـا الحكومـة ماديـا وأدبيا، لتوعية عامة الشعب وإرشادهم إلى كيفية الإنتخاب الحر، حتى ينتخب الشعب الأشخاص الأكفاء والمخلصين بغض النظر عن الدين، فيختفى التعصب الدينى وتزول مشكلة الأقليات(٩٩).

ومما يلاحظ بوضوح، أن مؤيدى تمثيل الأقليـات فـى الهيئـات النيابية، كانوا مـن بـين الأقبـاط والمسـلمين، وكذلـك كـان معـارضو التمثيل الطائفى ينتمون إلى شـقى الأمـة علـى حـد سـواء. فلـم تكـن مواقف كل فريق -إذن- ناتجة عن الفكر الدينى أو الإنتماء الطـائفى، بل كانت منبعثة -أساسا- من النظرة السياسية للأمور. وهـى النظـرة الواجبة والضرورية لكى ينصهر جميع أفراد الشعب فـى بوتقـة واحـدة، يخرجون منها معدنا صلبا قويا، يواجه الإحـتلال والإستغلال والتخلف ويهزمها جميعا.

وقد انتهت مسألة تمثيل الأقليات برفض هذا التمثيل الطـائفى من قبـل الأقبـاط والمسـلمين، وفـى اللجنـة العامـة للدسـتور، بأغلبيـة ساحقة.

وكان هذا الرفض خطوة على طريق التقدم فى المسألتين الوطنية والعلمانية، تعنى من طلائع المطالبين بهذا التقدم، وعدا بالعمل على المزج بين عناصر الأمة المصرية، وتحقيق العصرية مجتمعا ودولة وعلاقات، فى مواجهة الإحتلال البريطانى وأعوانه من المصريين -من الناحية الوطنية- وفى مواجهة الرواسب الإجتماعية والفكرية القديمة، من الناحية العلمانية(١٠٠).

مصادر ومراجع

الفصــل الثــانى

(١) الجريدة ٨ مـايو ١٩٠٧، "تقريـر اللـورد كرومـر: التعصـب الدينى". وراجع جمال حمـدان، شـخصية مصـر، دراسـة فـى عبقرية المكان (القاهرة، دار الهلال، ١٩٦٧) ص ٣٥-٣٩.

(٢) نعمـات أحمـد فـؤاد، أعيـدوا كتابـة التـاريخ (القـاهرة، دار الشروق، ١٩٧٤) ص ٩٦.

(٣) طارق البشرى، مصر الحديثة بين أحمد والمسيح، مجلة الكاتب (القاهرة، فبراير ١٩٧٠) ص ٩-١١؛ وليم سـليمان، الحـوار بين الأديان (القاهرة، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب، ١٩٧٦) ص ٧٩، نقلا عن:
The Earl of Cromer, Modern Egypt (London, 1908) Part II, pp.205-213, 568-569.

(٤) حسـين مؤنـس، دور الأقبـاط فـى ثـورة ١٩١٩، مجلـة آخـر سـاعة (القـاهرة، ٩ مـايو ١٩٧٣)؛ ومحمـد سـيد كيلانـى،

الأدب القبطى قديما وحديثا (القاهرة، مكتبة الهلال، ١٩٦٢) ص ١٣٣.

(٥) عباس محمود العقاد، سعد زغلول سيرة وتحية (القاهرة، مطبعة حجازى، ١٩٣٦) ص ٩٠ و ٩١.

(٦) العقاد، سعد زغلول، ص ٢٥٥ و٢٥٦، صفحات من مذكرات فخرى عبد النور، بمجلة المصور (القاهرة، ٢١ مارس ١٩٦٩) ص٣٤؛ وليم سليمان، الحوار بين الأديان، ص ١٣٣ و١٣٤.

(٧) محمود أبو الفتح، مع الوفد المصرى، ص ١٥.

(٨) العقاد، سعد زغلول، ص ٢٥٥-٢٥٨.

(٩) فتحى رضوان، مشهورون منسيون، سلسلة (كتاب اليوم) العدد ٢٧ (القاهرة، مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٧٠) ص ٤٤ و٤٥؛ وليم سليمان، الحوار بين الأديان، ص ١٣٧، ١٣٨.

(١٠) سيد كيلانى، الأدب القبطى، ص ١٦٦-١٧٨.

(١١) راجع أسماء المتهمين والمحكوم عليهم فى قضايا الثورة المختلفة فى: عبد الرحمن الرافعى، ثورة ١٩١٩، جـ٢، ط٢ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥) ص ٧٠-٨٨.

(١٢) توفيق الحكيم، عودة الروح (القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٧٣) حـ٢، ص ٢٤٥.

(١٣) الوطن ١، ٦ أغسطس ١٩١٩؛ الأهرام ١ أغسطس ١٩١٩؛ النظام ٧ أغسطس، ٤ سبتمبر، ٤، ٢٠ أكتوبر ١٩١٩؛ المقطم ٧ أغسطس ١٩١٩.

(١٤) مصر ١٥ يناير ١٩٢٠.

(١٥) مصر والوطن والنظام من ١ إلى ٩ أكتوبر ١٩١٩.

(١٦) الأهرام ٢٣ فبراير ١٩٢١.

(١٧) النظام ١٩ يونية ١٩٢٢.

(١٨) طارق البشرى، مصر الحديثة، مجلة الكاتب (القاهرة، أكتوبر ١٩٧٠) ص ١٢٣، ١٢٤.

(١٩) النظام ١٩ أغسطس، ١٦ نوفمبر ١٩١٩؛ الوطن ١٠ سبتمبر ١٩٢٠؛ المقطم ١٣ سبتمبر، ١٥ نوفمبر ١٩١٩؛ الأهرام ١٥ نوفمبر ١٩١٩، ١٥ سبتمبر ١٩٢٠؛ اللواء المصرى ١٤ سبتمبر ١٩٢١.

(٢٠) النظام ١١ مايو ١٩٢٢.

(٢١) الأخبار ٣ يونية ١٩١٩.

(٢٢) النظام ١٢ أبريل ١٩٢٠.

(٢٣) النظام ١٧ مايو ١٩٢٢.

(٢٤) الأخبار ٨ يولية ١٩١٩، الوطن ٨ يولية ١٩١٩.

(٢٥) الوطن ١ يناير، ٢٠ أبريل، ٢٣ أغسطس ١٩٢٠، ٤ مايو ١٩٢١؛ الأهرام ١٥ نوفمبر ١٩٢٠؛ النظام ٣ مارس ١٩٢٠، الأهالى ١١، ١٤ أبريل ١٩٢٠.

(٢٦) الوطن ٢٦ مايو ١٩٢٠.

(٢٧) عبد العزيز فهمى، هذه حياتى، إعداد وتقديم طاهر الطناحى سلسلة كتاب الهلال - العدد ١٤٥ (القاهرة، دار الهلال، ١٩٦٣) ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢٨) المقطم ٣ يونية ١٩٢٠، والصحف اليومية الصادرة فى نفس اليوم.

(٢٩) الوطن ٢٦ مايو ١٩٢٠.

(٣٠) الوطن ٢٩ مايو ١٩٢٠.

(٣١) الأهرام ٢٩ مايو ١٩٢٠.

(٣٢) مصر ٢٥ يونية ١٩٢٠.

(٣٣) وادى النيل ٣٠ مايو ١٩٢٠.

(٣٤) وادى النيل ٥ يونية ١٩٢٠.

(٣٥) الوطن ١٣ مايو ١٩١٩.

(٣٦) نقلت الوطن عن الأهالى هذا المقال يوم ١٩ مايو ١٩١٩.

(٣٧) النظام ١٠ سبتمبر ١٩١٩.

(٣٨) جاءت حركة الجامعة الإسلامية مناورة من تركيا لإستبقاء فوذها فى العالم الإسلامى، وللإبقاء على كيانها المنهار. ولكن بعض المصريين خُدع ورأى فيها مخرجا وملجأ من الإستعمار البريطانى الغاضب. راجع: جمال حمدان، شخصية مصر، ص٢٤٨.

(٣٩) للإستزادة فى البنود الثلاثة، راجع: طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب، عدد فبراير ١٩٧٠، ص٢١و٢٢، وعدد يونية ١٩٧٠، ص ١٢٤، وعدد أكتوبر ١٩٧٠، ص١١٦.

(٤٠) راجع: طارق البشرى، مصرالحديثة، الكاتب، عدد أكتوبر ١٩٧٠، ص ١١٦و ١١٧؛ محمود أبو الفتح، المسألة المصرية والوفد، ص ١٥٦؛ ومع الوفد المصرى، ص ٥٢.

(٤١) محمد أنيس، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ) ص ٦١. والخطاب

بتاريخ ٢٣يونية ١٩١٩.

(٤٢) أنيس، وثائق ثورة ١٩١٩، ص ٩٦، بيان من سعد زغلول وهو فى باريس يوم ١٨ فبراير ١٩٢٠.

(٤٣) النظام ٢٤ و٢٥ فبراير ١٩٢١. وراجع تقرير لجنة ملنر فى: أحمد شفيق، حوليات مصر السياسية، الجزء الثانى من التمهيد، ط١ (القاهرة، مطبعة شفيق باشا، ١٩٢٧) ص٢٩و٣٠ من الملحق.

(٤٤) الأهالى ٦ نوفمبر ١٩١٩؛ وادى النيل ٣٠ نوفمبر ١٩١٩. والعلمانية تعنى فصل الدين عن السياسة.

(٤٥) مصر ٢٢ يناير ١٩٢٠؛ النظام ١١ فبراير ١٩٢٠؛ الأهرام ٢١ فبراير، ١٨ مارس ١٩٢٠؛ الأخبار ١٦ مارس ١٩٢٠.

(٤٦) وادى النيل ٢٢ فبراير ١٩٢٠.

(٤٧) النظام ١٥ مارس ١٩٢٢.

(٤٨) مصر ١٧ أبريل ١٩١٩.

(٤٩) طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب، عدد فبراير ١٩٧٠، ص ٢٣.

(٥٠) محمد سيد كيلانى، الأدب القبطى، ص٨٨-٩٥.

(٥١) طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب، عـدد أبريـل ١٩٧٠، ص١١٧-١٢٥.

(٥٢) The Egyptian Gazette, April 24, 1919 .

ومصر ٢٧ أبريل ١٩١٩.

(٥٣) The Egyptian Gazette, November 21, 1919

والوطن ٢٢ نوفمبر ١٩١٩.

(٥٤) الأخبار ٢٢ نوفمبر ١٩١٩.

(٥٥) النظام ٢٤ نوفمبر ١٩١٩.

(٥٦) The Egyptian Gazette, November 24, 1919.

والصحف اليومية ٢٤ نوفمبر ١٩١٩؛ النظام ١ ديسمبر ١٩١٩.

(٥٧) النظام ١ ديسمبر ١٩١٩.

(٥٨) النظام ٢٢ يونية ١٩٢١.

(٥٩) النظام ٨ مايو ١٩٢٢.

(٦٠) وادى النيل ٩ مايو ١٩٢٢.

(٦١) النظام ٨ مايو ١٩٢٢.

(٦٢) أنيس، وثائق ثورة ١٩١٩، ص ٥١.

(٦٣) طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب، عدد أكتوبر ١٩٧٠، ص١٣٢. وعن استغلال السياسة البريطانية لتعيين بطرس غالى رئيسا للوزراء ثم اغتياله، راجع: العقاد، سعد زغلول، ص ١٤١.

(٦٤) الوطن ٢١ نوفمبر ١٩١٩، ص ٢.

(٦٥) النظام ٢٣ نوفمبر ١٩١٩؛ وادى النيل ٢٨ فبراير ١٩١٩.

(٦٦) مصر ٢٦ نوفمبر ١٩١٩.

(٦٧) أنيس، وثائق ثورة ١٩١٩، ص ١٥٨، خطاب من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول فى باريس بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩١٩.

(٦٨) الأهرام ٢٧ نوفمبر ١٩١٩، النظام ١ ديسمبر ١٩١٩.

(٦٩) أنيس، وثائق ثورة ١٩١٩، ص ٨٢، خطاب من سعد زغلول بباريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩١٩.

(٧٠) النظام ٢٤ نوفمبر ١٩١٩.

(٧١) الرافعى، ثورة ١٩١٩، جـ٢، ص١٢٩ و١٣٠؛ واللطائف المصورة ٢٩ ديسمبر ١٩١٩، ص٣ و٦.

(٧٢) النظام ١٧ ديسمبر ١٩١٩.

(٧٣) النظام ٨ يناير ١٩٢٠.

(٧٤) أنيس، وثائق ثورة ١٩١٩، ص١٨٤، والخطاب بتاريخ ١٧ يناير ١٩٢٠.

(٧٥) محمد على أبو طالب، صفحات من ذكريات إبراهيم عبد الهادى، صحيفة السياسى (القاهرة ٢٤ فبراير ١٩٨٠) ص ١٠٧.

(٧٦) الرافعى، ثورة ١٩١٩، جـ٢، ص١٣٠.

(٧٧) طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب، عدد يونية ١٩٧٠ ص١٢٧ و١٢٨، وعدد فبراير ١٩٧١، ص١٠٧.

(٧٨) وليم سليمان، الكنيسة المصرية تواجه الإستعمار والصهيونية (القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، بدون تاريخ) ص٣٩-٤١.

(٧٩) وادى النيل ٤، ٢٧، ٣٠ أبريل ١٩٢٢.

(٨٠) مصر ٥، ١٢ مارس ١٩٢٢، ٣ يناير ١٩٢٣.

(٨١) النظام ٥، ١٦ مارس ١٩٢٢.

(٨٢) طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب، عدد فبراير ١٩٧١،

ص١١١-١٢٢.

(٨٣) الوطن ٧ مارس ١٩٢٢.

(٨٤) الوطن ٢٧ فبراير ١٩٢٣.

(٨٥) المقطم ٧ يولية، ١، ٣١ أغسطس، ١٩ سبتمبر ١٩٢٢.

(٨٦) الأهرام ١١ و١٩ مايو ١٩٢٢.

(٨٧) الوطن ١١ مايو ١٩٢٢.

(٨٨) وادى النيل ٢٠ مايو ١٩٢٢.

(٨٩) طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب عدد فبراير ١٩٧١، ص١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩.

(٩٠) النظام ١٢، ١٤ مايو، ١٩ يونية ١٩٢٢. والبيان صدر فى ١٢ مايو ١٩٢٢.

(٩١) النظام ٢١ مايو ١٩٢٢.

(٩٢) النظام ١٢ مايو إلى ٢٧ يونية ١٩٢٢.

(٩٣) النظام ١٧ و ٢٢ مايو ١٩٢٢.

(٩٤) النظام ١٤ مايو، ١٤ يونية ١٩٢٢.

(٩٥) اللواء المصرى ١٥ مايو ١٩٢٢.

(٩٦) اللواء المصرى ١٣ مايو ١٩٢٢.

(٩٧) اللـــواء المصـــرى ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ و٢٠ مـــايو ١٩٢٢.

(٩٨) المقطم ١٦ و١٩ و٢١ يولية، ١، ١٨ أغسطس ١٩٢٢.

(٩٩) المقطم ٢٩ يولية ١٩٢٢.

(١٠٠) طارق البشرى، مصر الحديثة، الكاتب، عـدد فـبراير ١٩٧١، ص١٢٩، ١٣٠.

المحتـــــوى



المؤلف

د. رمزى ميخائيل جيد

• حصل على الليسانس فى الآداب من قسم الصحافة بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٠، بتقدير جيد ، والماجستير سنة ١٩٧٢ بتقدير ممتاز. وحصل على الدكتوراه فى الصحافة من كلية الإعلام بجامعة القاهرة سنة ١٩٩٠ بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها مع الجامعات الأجنبية.

• قام بعدة دراسات منشورة منها: "الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩"، و"ملكية الصحيفة وحرية الصحافة"، و"تطور الخبر فى الصحافة المصرية"، و"أزمة الديمقراطية ومأزق الصحافة القومية"، و"الصحافة المصرية وثورة ١٩١٩"، و"الصحافة المصرية وحرب يونية ١٩٦٧"، و"الكتاب المصرى: المشكلة والحل"، و"السياسة والصحافة من هزيمة يونية إلى نصر أكتوبر".